تفسير سورة غافر

وهي سورة المؤمن، وتسمى سورة الطَّوْل

وهي مكيةٌ في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر[1]. وعن الحسن إلا قوله: «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» لأن الصلواتِ نزلت بالمدينة[2]. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة، وهما ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: ٣٥] والتي بعدها[3]. وهي خمسٌ وثمانون آية. وقيل: ثنتان وثمانون آية[4].

وفي «مسند» الدارمي قال: حدّثنا جعفر بن عون، عن مِسْعر، عن سعد بن إبراهيم قال: كنَّ الحواميم يُسمَّين العرائسَ[5]. ورُوي من حديث أنس أن رسولَ الله ﷺ قال: «الحواميمُ دِيباجُ القرآن»[6]. ورُوي عن ابن مسعود مثلُه. وقال الجوهري وأبو عُبيد[7]: وآل حم سورٌ في القرآن. قال ابن مسعود: آلُ حم دِيباج القرآن[8]. قال الفراء: إنما هو كقولك: آلُ فلان وآلُ فلان، كأنه نَسَبَ السورةَ كلَّها إلى حم؛ قال الكُمَيْت:

وَجَدْنا لكم في آلِ حاميمَ آيةً ... تأوَّلَها مِنَّا تَقيٌّ ومُعْرِبُ[9]

---

(١) النكت والعيون ٥/ ١٤١ .

(٢) مجمع البيان ٢٤/ ١٧٨ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ١٤١ ، وزاد المسير ٧/ ٢٠٤ . قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٥ : هذه السورة مكية بإجماع، وقد روي في بعض آياتها أنها مدنية، وهذا ضعيف، والأول أصح.

(٤) ذكرهما السيوطي في الإتقان ١/ ٢١٤ .

(٥) سنن الدارمي (٣٤٢٢).

(٦) أخرجه أبو الشيخ وأبو نعيم كما في الدر المنثور ٥/ ٣٤٤ .

(٧) في (د) و(م): أبو عبيدة.

(٨) أخرجه البيهقي في الشعب (٢٤٧١).

(٩) ديوان الكميت بن زيد ص١٨ ، وفيه وفي الصحاح (حمم) والخزانة ٤/ ٣١٨: ومعرب. قال البغدادي: يقول الشاعر: من تأوّل هذه الآية لم يسعه إلا التشيّع في آل النبي ﷺ وإبداء المودة لهم على تَقِيَّة كانت أو غير تقية. وقوله: تقيٌّ ومعرب، قال الجوهري [الصحاح (عرب)]: أعرب بحجته إذا أفصح بها ولم يتقِ أحداً.

قال أبو عُبيد[١]: هكذا رواها الأُموي بالزاي، وكان أبو عمرو يرويها بالراء. فأما قولُ العامة: الحواميم، فليس من كلام العرب.

وقال أبو عُبيدة: الحواميمُ سورٌ في القرآن على غير قياس؛ وأنشد:

وبالحواميم التي قد سُبِّعَتْ[٢]

قال: والأولى أن تُجمع بذوات حم[٣].

ورُوي أن النبي ﷺ قال: «لكلِّ شيء ثمرةٌ، وإن ثمرةَ القرآن ذواتُ حم، هنَّ روضاتٌ حِسان مُخصبات مُتجاورات، فمن أحبَّ أن يرتعَ في رياض الجنة فَلْيقرأ الحواميم»[٤]. وقال النبي ﷺ: «مَثَلُ الحواميم في القرآن كمثل الحِبَرَاتِ في الثياب» ذكرهما الثعلبي[٥].

وقال أبو عُبيد: وحدّثني حجَّاج بن محمد عن أبي مَعْشر، عن محمد بن قيس قال: رأى رجلٌ سبعَ جوارٍ حِسان مُزيَّنات في النوم، فقال: لمن أنتنَّ بارك الله فيكنَّ؟ فقلن: نحن لمن قرأنا، نحن الحواميم[٦].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ اختلف في معناه؛ فقال عكرمة: قال النبيُّ ﷺ: «حم» اسمٌ

(١) في (م): أبو عبيدة. والكلام في غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٩٤ .
(٢) ذكره صاحب اللسان (حمم)، وقبله: وبالطواسين التي قد ثُلِّثتْ.
(٣) الصحاح (حمم).
(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٣٤٤ ، وعزاه لابن الضُّريس.
(٥) لم نقف عليه.
(٦) غريب الحديث ٤/ ٩٣ .

من أسماء الله تعالى، وهي مفاتيحُ خزائن ربِّك»[١] قال ابن عباس: «حم» اسمُ الله الأعظم. وعنه: «الر» و«حم» و«ن» حروفُ الرحمنُ مقطَّعة. وعنه أيضاً: اسمٌ من أسماء الله تعالى أقسم به. وقال قتادة: إنه اسمٌ من أسماء القرآن. مجاهد: فواتحُ السُّور[٢].

وقال عطاء الخُراساني: الحاء افتتاحُ اسمه حَميدٌ وحنانٌ وحليمٌ وحكيمٌ، والميم افتتاحُ اسمه مَلِكٌ ومجيدٌ ومنَّانٌ ومُتكبِّرٌ ومصوِّرٌ[٣]؛ يدلُّ عليه ما روى أنسٌ أن أعرابيًّا سأل النبيَّ ﷺ: ما «حم» فإنَّا لا نعرفها في لساننا؟ فقال النبيُّ ﷺ: «بَدْءُ أسماء وفواتح سُوَره»[٤]. وقال الضحاك والكسائي: معناه: قُضِي ما هو كائن. كأنه أراد الإشارة إلى تهجِّي «حم»؛ لأنها تصير حُمَّ، بضم الحاء وتشديد الميم؛ أي: قُضِي ووَقَع[٥]. قال كعب بن مالك:

فلما تَلاقَينا ودارت بِنَا الرَّحى ... وليس لِأَمْرِ حمَّهُ اللهِ مَدْفَعُ[٦]

وعنه أيضاً: إن المعنى: حُمَّ أمرُ الله، أي: قَرُبَ؛ كما قال الشاعر:

قد حُمَّ يومي فسُرَّ قومٌ ... قومٌ بهم غَفْلَةٌ ونَومٌ

ومنه سُمِّيت الحُمَّى؛ لأنها تُقرِّب من المَنِيَّة[٧].

والمعنى المراد: قَرُبَ نصرُه لأوليائه، وانتقامُه من أعدائه كيوم بدر. وقيل: حروف هجاء؛ قال الجَرْمي: ولهذا تُقرأ ساكنةَ الحروف، فخرجت مخرجَ التهجِّي،

---

(١) لم نقف عليه، وهو هكذا مرسل.

(٢) هذه الأقوال في تفسير الطبري ٢٠/ ٢٧٤-٢٧٥ ، والنكت والعيون ٥/ ١٤١ ، وتفسير البغوي ٤/ ٩٠ .

(٣) أورده البغوي في تفسيره ٤/ ٩٠ .

(٤) لم نقف عليه.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٩٠ .

(٦) ديوان كعب بن مالك ص١٨٣ .

(٧) النكت والعيون ٥/ ١٤١ .

وإذا سَمَّيت سورةً بشيء من هذه الحروف أعربت؛ فتقول: قرأتُ «حمَ» فتنصب؛ قال الشاعر:

يُذَكِّرنِي حاميم والرُّمح شاجِرٌ فهلَّا تلا حاميمَ قَبْلَ التَّقدُّمِ[١]

وقرأ عيسى بن عمر الثقفي: «حمَ» بفتح الميم على معنى: اقرَأْ حم، أو لالتقاء الساكنين. وابن أبي إسحاق وأبو السَّمَّال بكسرها. والإمالة والكسر لالتقاء الساكنين[٢]، أو على وجه القسم. وقرأ أبو جعفر بقطع الحاء من الميم. الباقون بالوصل. وكذلك في ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١-٢]. وقرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان بالإمالة في الحاء. ورُوي عن أبي عمرو بين اللَّفظين، وهي قراءة نافع وأبي جعفر وشيبة. الباقون بالفتح مُشبعاً[٣].

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ابتداء، والخبر ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾. ويجوز أن يكون «تَنْزِيلُ» خبراً لمبتدأ محذوف؛ أي: هذا «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ»[٤]. ويجوز أن يكون «حم» مبتدأ و«تَنْزِيلُ» خبره، والمعنى: إن القرآنَ أنزله اللهُ، وليس منقولاً ولا مما يجوز أن يُكذَّب به.

قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ قال الفراء[٥]: جعلها كالنعت للمعرفة، وهي نكرة. وقال الزجاج: هي خفضٌ على البدل[٦]. النحاس[٧]:

---

(١) قائله شريح بن أبي أوفى العبسي، أورده البخاري قبل الحديث (٤٨١٥)، والطبري ٢٠/ ٢٧٥، وقيل: البيت للأشتر النخعي، وقيل غير ذلك، كما في فتح الباري ٨/ ٥٥٤.

(٢) قراءة عيسى بن عمر في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٥، وقراءة أبي السمّال في المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٦.

(٣) السبعة ص٥٦٦، والتيسير ص١٩١، والنشر ٢/ ٧٠.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٥.

(٥) في معاني القرآن ٣/ ٥، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٦.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٦٦، وفيه: «غافرِ الذنب وقابلِ التوب» على صفات الله، فأما خفض «شديدِ العقاب» فعلى البدل لأنه مما يوصف به النكرة.

(٧) إعراب القرآن ٤/ ٢٦.

وتحقيقُ الكلام في هذا وتلخيصُه أن ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ يجوز أن يكونا معرفتين على أنهما لِمَا مضَى فيكونا نعتين، ويجوز أن يكونا للمستقبل والحال فيكونا نكرتين، ولا يجوز أن يكونا نعتين على هذا، ولكن يكون خَفْضُها على البدل، ويجوز النصب على الحال، فأما «شديدِ العقابِ» فهو نكرةٌ، ويكون خفضُه على البدل.

قال ابن عباس: «غَافِرِ الذَّنْبِ» لمن قال: «لا إله إلا الله» «وقَابِلِ التَّوْبِ» ممن قال: «لا إله إلا الله» «شَدِيدِ العقابِ» لمن لم يقل: «لا إله إلا الله» (١).

وقال ثابت البُنَاني: كنتُ إلى سرادق مُصْعَب بن الزبير في مكان لا تمرُّ فيه الدوابُّ، قال: فاستفتحت ﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ فمر عليَّ رجلٌ على دابة، فلما قلت: «غَافِرِ الذَّنْبِ» قال: قل: يا غافرَ الذنب، اغفِرْ لي ذنبي، فلما قلت: «قَابِلِ التوْبِ» قال: قل: يا قابلَ التوب، تقبَّل توبتي، فلما قلت: «شَدِيدِ العقابِ» قال: قلْ: يا شديدَ العقاب، اعفُ عني، فلما قلتُ: «ذِي الطَّوْلِ» قال: قل: يا ذا الطَّول، طُلْ عليّ بخير؛ فقمتُ إليه فَأُخِذَ ببصري، فالتفتُّ يميناً وشمالاً فلم أرَ شيئاً (٢).

وقال أهلُ الإشارة: «غَافِرِ الذَّنْبِ» فَضْلاً «وَقَابِلِ التَّوبِ» وعداً «شَديدِ العِقَابِ» عدلاً «لا إله إلا هو إليه المصيرُ» فرداً.

ورُوي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه افتقد رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام؛ فقيل له: تتابعَ في هذا الشَّراب؛ فقال عمر لكاتبه: اكتبْ: من عمرَ إلى فلان، سلامٌ عليك، وأنا أحمدُ اللهَ إليك الذي لا إله إلا هو ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * حمٓ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ ثم ختمَ الكتابَ، وقال لرسوله: لا تدفَعْه إليه حتى تَجِدَهُ صاحياً، ثم أمر مَن عنده بالدُّعاء له بالتوبة، فلما أتَتْه الصحيفةُ جعل يقرؤها ويقول:

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٩٠.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٣٢٨ بنحوه.

قد وعدني الله أن يغفِرَ لي، وحذَّرني عِقابَه، فلم يبرحْ يُرَدِّدها حتى بكى، ثم نزع فأحسن النَّزع وحسنت توبته. فلما بلغ عمرَ أمرُه قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أحدَكم قد زلَّ زلَّةً، فسدِّدوه وادعوا اللهَ له أن يتوبَ عليه، ولا تكونوا أعواناً للشياطين عليه[١].

و«التَّوْب» يجوز أن يكون مصدر تابَ يتوبُ تَوْباً، ويَحتمِلُ أن يكون جمعَ توبة، نحو دَوْمَة ودَوْم وعَزْمة وعَزْم؛ ومنه قوله:

فَيَخْبو ساعَةً ويَهُبُّ ساعا[٢]

ويجوز أن يكون التوبُ بمعنى التوبة. قال أبو العباس: والذي يسبق إلى قلبي أن يكون مصدراً؛ أي: يقبل هذا الفعل، كما تقول: قال قولاً، وإذا كان جمعاً فمعناه: يقبل التوبات. ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ على البدل [لأنه نكرة] وعلى النعت، لأنه معرفة[٣].

وأصل الطول الإنعام والفضل يقال منه: اللهم طُلْ علينا، أي: أنعم وتفضَّل. قال ابن عباس: «ذِي الطَّوْلِ» ذي النعم. وقال مجاهد: ذي الغنى والسَّعة[٤]؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ [النساء: ٢٥] أي: غِنًى وسَعَةً. وعن ابن عباس أيضاً: «ذِي الطَّوْلِ» ذي الغِنى عمن لا يقول: لا إله إلا الله[٥]. وقال عكرمة: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ ذي المَنّ[٦].

قال الجوهري[٧]: والطَّوْل بالفتح المنّ؛ يقال منه: طال عليه وتطوَّل عليه، إذا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٤/ ٩٧ بنحوه.

(٢) قائله القطامي، وهو في ديوانه ص٣٤ ، وصدره: وكنا كالحريق أصاب غابا.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٦ ، وما بين حاصرتين منه.

(٤) النكت والعيون ٥/ ١٤٢ ، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٠/ ٢٧٨ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٩٠ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ١٤٢ .

(٧) في الصحاح (طول).

امتنَّ عليه. وقال محمد بن كعب: «ذِي الطَّوْلِ» ذي التفضُّل؛ قال الماوردي[١]: والفرق بين المَنِّ والتفضُّل أن المنَّ عفوٌ عن ذنب. والتفضل إحسانٌ غيرُ مُستَحَقّ. والطَّول مأخوذٌ من الطُّول، كأنه طال بإنعامه على غيره. وقيل: لأنه طالت مُدَّة إنعامه.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع.

قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ سجَّل سبحانه على المُجادِلين في آيات الله بالكُفر، والمراد الجِدالُ بالباطل؛ من الطَّعن فيها، والقَصْد إلى إدحاض الحقِّ، وإطفاءِ نور الله تعالى. وقد دلَّ على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر: ٥].

فأما الجِدال فيها لإيضاح مُلتبَسها، وحلِّ مُشْكِلها، ومُقادحة أهل العلم في استنباط مَعانيها، وردِّ أهل الزَّيْغ بها وعنها، فأعظمُ جهاد في سبيل الله. وقد مضى هذا المعنى في «البقرة» عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [الآية: ٢٥٨] مستوفى.

﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾ وقُرئ: «فَلَا يَغُرَّكَ»[٢]، ﴿تَقَلُّبُهُمْ﴾ أي: تصرُّفهم ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ فإني وإن أمهلتُهم لا أُهمِلُهم، بل أُعاقبهم. قال ابن عباس: يُريد تجارتهم من مكة إلى الشام وإلى اليمن. وقيل: «لَا يَغْرُرْكَ» ما هم فيه من الخير والسَّعة في الرزق، فإنه متاعٌ قليلٌ في الدنيا. وقال الزجاج[٣]: «لَا يَغْرُرْكَ» سلامتُهم بعد كُفرهم، فإن عاقبتَهم الهَلاك. وقال أبو العالية: آيتان ما أشدّهما على الذين يُجادلون في القرآن: قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾[٤] [البقرة: ١٧٦].

---

(١) في النكت والعيون ٥/ ١٤٢ ، وقول محمد بن كعب الذي قبله منه.

(٢) قرأ بها زيد بن علي وعبيد بن عمير، كما في البحر المحيط ٧/ ٤٤٩ .

(٣) في معاني القرآن ٤/ ٣٦٦ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٩١ .

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ على تأنيث الجماعة، أي: كذَّبتِ الرُّسُلَ[١]. ﴿وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: والأُمم الذين تحزَّبوا على أنبيائهم بالتكذيب، نحو عاد وثمود فَمن بعدَهم[٢].

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي: ليحبسوه ويُعذِّبوه. وقال قتادة والسُّدِّي: ليقتلوه[٣] والأَخْذُ يَرِد بمعنى الإهلاك؛ كقوله: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤]. والعرب تُسمِّي الأسيرَ الأخيذ؛ لأنه مأسورٌ للقتل؛ وأنشد قطرب قول الشاعر:

فإمَّا تأخُذوني تَقْتُلوني ... فكَمْ مِنْ آخِذٍ يَهْوَى خُلودِي[٤]

وفي وقت أَخْذهم لرسولهم قولان: أحدهما: عند دعائه لهم. الثاني: عند نزول

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٦ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٩١ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ١٤٣ .

(٤) جاء الشطر الثاني في النسخ الخطية: ومن أخذ فليس إلى خلودي، وضبط في (ز): أَخْذٍ، ووضع عليها «صح». والمثبت من (م)، وهو كذلك في الدر المصون ٩/ ٤٥٨ ، والبيت أورده الماوردي في النكت والعيون ٥/ ١٤٣ (والكلام منه) وعجز البيت فيه: ومن يأخذ فليس إلى خلودي.

العذاب بهم.

﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ أي: ليُزيلوا. ومنه: مكان دَحْض، أي: مَزْلَقة[١]، والباطل داحض؛ لأنه يَزْلَق ويَزِلّ فلا يستقر. قال يحيى بن سلّام: جادَلوا الأنبياء بالشِّرك لِيبطلوا به الإيمان[٢]. ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ أي: بالعذاب. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: عاقبة الأُمم المُكذِّبة. أي: أليس وجدوه حقًّا؟!.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ﴾ أي: وجبت ولَزِمتْ؛ مأخوذٌ من الحق لأنه اللازم[٣]. ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ هذه قراءةُ العامة على التوحيد. وقرأ نافع وابن عامر: «كَلِمَاتُ» جمعاً[٤].

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ﴾ قال الأخفش[٥]: أي: لأنهم وبأنهم. قال الزجاج: ويجوز: إنهم بكسر الهمزة[٦]. ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أي: المُعذَّبون بها، وتمَّ الكلام، ثم ابتدأ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ويُروى: أن حَمَلَة العرش أرجلُهم في الأرض السُّفلى ورؤوسهم قد خَرقت العرش، وهم خشوعٌ لا يرفعون طَرْفهم، وهم أشرافُ الملائكة وأفضلُهم. ففي الحديث: «إن اللهَ تبارك وتعالى أمرَ جميعَ الملائكة أن يَغْدُوا ويروحوا بالسَّلام على حَمَلةِ العرش تفضيلاً لهم على سائر الملائكة»[٧].

ويقال: خلقَ اللهُ العرشَ من جوهرة خضراء، وبين القائمتين من قوائمه خَفَقان الطير المسرع ثمانين ألف عام. وقيل: حولَ العرش سبعون ألف صفٍّ من الملائكة

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٦ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ١٤٤ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٦ .

(٤) السبعة ص٥٦٧ ، والتيسير ص١٢٢ .

(٥) في معاني القرآن ٢/ ٦٧٥ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٦ وما بعده منه.

(٦) يعني في اللغة لا في التلاوة، والكلام في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٦٧ .

(٧) ذكره الزمخشري في الكشاف ٣/ ٤٥ ، ولم نقف عليه عند غيره.

يَطوفون به مُهَلِّلين مُكَبِّرين، ومِن ورائهم سبعون ألف صفٍّ قيام، قد وَضَعوا أيديَهم على عواتقهم، ورافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير، ومِن ورائهم مئة ألف صفٍّ، قد وضعوا الأيمان على الشمائل، ما منهم أحد إلا وهو يُسبِّح بما لا يُسبِّح[١] به الآخر.

وقرأ ابن عباس: «العُرْش» بضم العين[٢]؛ ذَكَر جميعه الزمخشري رحمه الله.

وقيل: اتصل هذا بذكر الكفار؛ لأن المعنى ـ والله أعلم ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ يُنزِّهون الله عزَّ وجلَّ عما يقوله الكفار ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: يسألون لهم المغفرة من الله تعالى[٣].

وأقاويلُ أهل التفسير على أن العرش هو السرير، وأنه جسم مُجَسَّم خلقه اللهُ عزّ وجلّ، وأمرَ ملائكةً بحمله، وتَعبَّدهم بتعظيمه والطَّوافِ به؛ كما خلق في الأرض بيتاً وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة[٤].

وروى ابن طَهْمان، عن موسى بن عقبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُذِنَ لي أنْ أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ من ملائكة الله من حَمَلة العرش ما بين شحمةِ أُذنه إلى عاتقه مسيرُ سبع مئة عام» ذكره البيهقي[٥]، وقد مضى في «البقرة» في آية الكرسي عِظَم العرش، وأنه أعظمُ المخلوقات[٦].

وروى ثور بن يزيد، عن خالد بن مَعْدان، عن كعب الأحبار أنه قال: لما خَلَقَ اللهُ تعالى العرشَ قال: لن يخلقَ اللهُ خلقاً أعظمَ مني؛ فاهتزَّ فطوَّقه الله بحية، للحية

---

(١) في النسخ الخطية: بما سبّح، والمثبت من (م)، وهو الموافق للكشاف ٣/ ٤١٥، والكلام منه كما سيذكر المصنف.

(٢) القراءات الشاذة ص١٣٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٦-٢٧.

(٤) الأسماء والصفات ٢/ ٢٧٢.

(٥) في الأسماء والصفات (٨٤٦).

(٦) ٤/ ٢٧٥ وما بعدها.

سبعون ألفِ جناح، في الجناح سبعون ألفِ ريشة، في كلِّ ريشة سبعون ألف وجه، في كلِّ وجه سبعون ألف فم، في كلِّ فم سبعون ألف لسان. يخرجُ من أفواهها في كلِّ يوم من التسبيح عَدَدَ قَطْر المطر، وعددَ ورق الشجر، وعددَ الحصى والثرى، وعددَ أيام الدنيا، وعددَ الملائكة أجمعين، فالتَوَت الحيةُ بالعرش، فالعرشُ إلى نصف الحية وهي ملتوية به[١].

وقال مجاهد: بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب، حجاب نور وحجاب ظُلْمة، وحجاب نور وحجاب ظُلمة[٢].

﴿رَبَّنَا﴾ أي: يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: وَسِعَتْ رحمتُك وعِلْمُك كلَّ شيء، فلما نقل الفعل عن الرحمة والعلم نصب على التفسير[٣]. ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ أي: من الشِّرك والمعاصي ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ أي: دين الإسلام. ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي: اصرفه عنهم حتى لا يَصِلَ إليهم.

قال إبراهيم النخعي: كان أصحابُ عبد الله يقولون: الملائكةُ خيرٌ من ابن الكَوَّاء؛ هم يستغفرون لمن في الأرض وابن الكَوَّاء يشهد عليهم بالكفر[٤]، قال إبراهيم: وكانوا يقولون: لا يَحْجُبون الاستغفار عن أحد من أهل القبلة. وقال مُطَرِّف ابن عبد الله: وجدنا أنصحَ عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغشَّ عبادِ الله لعباد الله الشيطان، وتلا هذه الآية[٥].

وقال يحيى بن معاذ الرازي لأصحابه في هذه الآية: افهموها، فما في العالم جنةٌ أرجى منها؛ إنَّ مَلَكاً واحداً لو سأل الله أن يغفرَ لجميع المؤمنين لَغفَرَ لهم، كيف

---

(١) هذا الخبر من الإسرائيليات التي يرويها كعب الأحبار عن كتب أهل الكتاب.

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٥٦).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٩٣ بنحوه.

(٤) أخرجه أبو عبيد وابن المنذر كما في الدر المنثور ٦/ ٣ ، وعبد الله هو ابن مسعود ﷺ، وابن الكوَّاء رجل من الخوارج، كما في تفسير أبي الليث ٢/ ١٦٢ والخبر فيه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ١٧٨-١٧٩ .

وجميعُ الملائكة وَحَملةُ العرش يستغفرون للمؤمنين. وقال خلف بن هشام البزار القارئ: كنتُ أقرأُ على سليم بن عيسى فلما بلغتُ: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بكى، ثم قال: يا خلف، ما أكرمَ المؤمن على الله، نائماً على فراشه والملائكة يستغفرون له.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ يُروى أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار: ما جنات عدن. قال: قصورٌ من ذهب في الجنة يدخلُها النبيُّون والصِّدِّيقون والشهداء وأئمةُ العدل[١].

﴿ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ «التي» في محل نصب نعتاً للجنات. ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ «مَنْ» في محل نصب عطفاً على الهاء والميم في قوله: «وَأَدْخِلْهُم»[٢]. «وَمَنْ صَلَحَ» بالإيمان.

﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ وقد مضَى في «الرعد» نظيرُ هذه الآية[٣]. قال سعيد ابن جُبير: يدخلُ الرجلُ الجنة، فيقول: يا رب، أين أبي وجدِّي وأُمي؟ وأين ولدي وولدُ ولدي؟ وأين زوجاتي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا كعملك؛ فيقول: يارب، كنتُ أعملُ لي ولهم؛ فيقال: أدخِلوهم الجنة. ثم تلا: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾[٤]. ويقرُبُ من هذه الآية قوله: ﴿والَّذين آمَنُوا وأَتْبعناهم ذُرِّيَّاتِهم بإيمانٍ ألْحَقْنا بهم ذُرِّيَّاتهم﴾[٥] [الطور: ٢١].

قوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال قتادة: أي: وَقِهم ما يسوءهم، وقيل: التقدير: وَقِهم عذابَ السيئات[٦]، وهو أمْرٌ من: وَقَاه الله يَقِيه وِقايةً؛ بالكسر؛ أي: حَفِظَه. ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾ أي: بدخول الجنة ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: النجاة الكبيرة.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ١٧٨ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧ .

(٣) ١٢/ ٦٠ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٠/ ٢٨٦ .

(٥) هذه قراءة أبي عمرو. السبعة ص٦١٢ ، والتيسير ص٢٠٣ .

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٨ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال الأخفش[1]: «لَمَقْتُ» هذه لام الابتداء وقعت بعد «يُنَادَوْنَ» لأن معناه: يقال لهم، والنداء قول. وقال غيره: المعنى: يقال لهم: «لَمَقْتُ اللهِ» إيَّاكم في الدنيا ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ «أَكْبَرُ» من مقت بعضِكم بعضاً يومَ القيامة؛ لأن بعضَهم عادَى بعضاً وَمقَتَهُ يومَ القيامة، فأذعنوا عند ذلك، وخَضَعوا وطلبوا الخُروجَ من النار[2].

وقال الكلبي: يقول كلُّ إنسان من أهل النار لنفسه: مَقَتُّكِ يا نفس؛ فتقول الملائكة لهم وهم في النار: لَمقتُ الله إيَّاكم إذ أنتم في الدنيا وقد بُعِثْتْ[3] إليكم الرُّسل فلم تؤمنوا أشدُّ من مَقْتكم أَنْفُسَكم اليوم.

وقال الحسن: يُعْطَون كتابَهم، فإذا نظروا إلى سيئاتكم مقتوا أنفسَهم، فينادَوْن «لَمَقْتُ الله» إيَّاكم في الدنيا ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ اليوم. وقال معناه مجاهد[4]. وقال قتادة: المعنى: «لَمَقْتُ اللهِ» لكم «إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإيمانِ فَتَكْفُرُونَ» «أكبرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أنْفُسَكُمْ» إذ عاينتم النار[5]. فإن قيل: كيف يَصِحُّ أن يَمقُتوا أنْفُسَهم؟ ففيه وجهان: أحدهما: أنهم أحلوها بالذُّنوب محلَّ

(١) في معاني القرآن ٢/ ٦٧٥ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧ .

(٣) في (م): بعث.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٠٦-٢٠٧ .

(٥) أخرج قول مجاهد بنحوه وقول قتادة الطبري ٢٠/ ٢٨٨ .

الممقوت. الثاني: أنهم لما صاروا إلى حال زال عنهم الهوى وعلموا أن نفوسَهم هي التي أوْبقتهم[١] في المعاصي مَقَتُوها[٢].

وقال محمد بن كعب القُرَظي: إنَّ أهل النار لمَّا يَئِسوا مما عند الخَزَنةِ وقال لهم مالك: ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] على ما يأتي. قال بعضُهم لبعض: يا هؤلاء، إنه قد نزل بكم من العذاب والبلاء ما قد ترون، فهلمَّ فلنصبر، فلعلَّ الصبر ينفعنا كما صبر أهلُ الطاعة على طاعة الله، فنفعهم الصبرُ إذ صبروا، فأجمعوا رأيَهم على الصبر، فصبروا، فطال صبرُهم، ثم جَزِعوا فنادَوْا ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: من ملجأ؛ فقال إبليسُ عند ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ﴾ إلى قوله: ﴿مَّآ أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ يقول: بمغنٍ عنكم شيئاً ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] فلما سَمِعوا مَقَالتَه مَقَتُوا أنْفُسَهم. قال: فنُودوا: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ قال: فردَّ عليهم: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ ذكره ابن المبارك[٣].

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ اختلف أهلُ التأويل في معنى قولهم: ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والضحاك: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم، ثم أحياهم، ثم أماتَهم المَوْتةَ التي لابدَّ منها في الدنيا، ثم أحياهم للبعث والقيامة، فهاتان حياتان وموتتان، وهو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

---

(١) في (م): أبقتهم.

(٢) النكت والعيون ٥/ ١٤٥-١٤٦.

(٣) وأخرجه الطبري ١٣/ ٦٢٧ و٦٣١ من طريق ابن المبارك.

وقال السدي: أُميتوا في الدنيا، ثم أحياهم في قبورهم[١] للمسألة، ثم أُميتوا، ثم أُحيوا في الآخرة[٢]. وإنما صار إلى هذا؛ لأن لفظَ الميت لا ينطلق في العُرف على النطفة.

واستدلَّ العلماء من هذا في إثبات سؤال القبر، ولو كان الثوابُ والعقابُ للروح دون الجسد، فما معنى الإحياء والإماتة؟ والروحُ عند من يقصر أحكامَ الآخرة على الأرواح لا تموتُ ولا تتغير ولا تفسدُ، وهو حيٌّ لنفسه لا يتطرَّق إليه موتٌ ولا غشية ولا فَناء.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ الآية قال: خلقَهم في ظهر آدم، وأخرجهم[٣] وأحياهم، وأخذَ عليهم المِيثاق، ثم أماتَهم، ثم أحياهم في الدنيا، ثم أماتهم[٤]. وقد مضى هذا في «البقرة»[٥].

﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ اعترفوا حيث لا ينفعهم الاعتراف ونَدِمُوا حين لا ينفع[٦] النَّدم.

﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: هل نُرَدُّ إلى الدنيا لِنعملَ بطاعتك؛ نظيره: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٤]، وقوله: ﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السجدة: ١٢] وقوله: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ الآية [الأنعام: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ «ذلكم» في موضع رفع، أي: الأمر «ذَلكُم» أو «ذَلِكُم» العذاب الذي أنتم فيه بكفركم. وفي الكلام متروكٌ تقديره: فأُجيبوا بأن لا سبيلَ إلى الردّ. وذلك لأنكم «إذا دُعِيَ الله» أي: وُحِّدَ الله

---

(١) في (م): القبور.

(٢) أخرج الأقوال السالفة الطبري ٢٠/ ٢٩٠-٢٩٢.

(٣) في النسخ الخطية: واستخرجهم، والمثبت من (م).

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٩ بنحوه، وقال: هذا قول ضعيف، لأن الإحياء فيه ثلاث مرات.

(٥) ١/ ٣٧٤-٣٧٥.

(٦) في (م): حيث لا ينفعهم.

«وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ» وأنكرتم أن تكون الألوهية له خاصة، وإن أشركَ به مشركٌ صدَّقتموه وآمنتم بقوله[١].

قال الثعلبي: وسمعتُ بعضَ العلماء يقول: ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾ بعد الردّ إلى الدنيا لو كان ﴿تُؤْمِنُوا۟﴾ تُصَدِّقوا المُشرِك؛ نظيره: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨] ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ عن أن يكون له صاحبة أو ولد.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۗ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: دلائلَ توحيده وقُدرته ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ جَمَعَ بين إظهارِ الآيات وإنزال الرِّزق؛ لأن بالآيات قِوامَ الأديان، وبالرِّزق قِوامَ الأبدان. وهذه الآياتُ هي السماوات والأرَضون وما فيهما وما بينهما من الشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والبحار والأنهار والعيون والجبال والأشجار وآثار قوم هَلَكوا.

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ أي: ما يَتَّعِظُ بهذه الآياتِ، فيوحِّد الله ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ أي: يرجع إلى طاعة الله ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: العبادة. وقيل: الطاعة[٢]. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ عبادةَ الله، فلا تعبدوا أنتم غيرَه.

قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ «ذُو العَرْش» على إضمار مبتدأ. قال

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٩٣ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٩٤ بنحوه.

الأخفش[١]: ويجوز نصبُه على المدح.

ومعنى «رَفِيعُ الدَّرَجات» أي: رفيع الصِّفات. وقال ابن عباس والكلبي وسعيد بن جُبير: رَفَعَ[٢] السماواتِ السَّبع. وقال يحيى بن سلَّام: هو رفعه درجات[٣] أوليائه في الجنة. فـ«رَفِيعُ» على هذا بمعنى رافع؛ فَعِيل بمعنى فاعل. وهو على القول الأول من صفات الذات، ومعناه: الذي لا أرفع قدراً منه، وهو المُستَحِقُّ لدرجات المَدْحِ والثناء، وهي أصنافُها وأبوابها لا مُستَحِقَّ لها غيره؛ قاله الحَلِيمي[٤]. وقد ذكرناه في «الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»[٥] والحمد لله.

«ذُو العَرْشِ» أي: خالقه ومالِكُه، لا أنه مُحتاج إليه. وقيل: هو من قولهم: ثُلَّ عرشُ فلان، أي: زال مُلكه وعِزُّه[٦]، فهو سبحانه «ذُو العَرْش» بمعنى ثبوت مُلكه وسُلطانه، وقد بيَّناه في «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»[٧].

﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ أي: الوحي والنبوة ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وسُمِّي ذلك روحاً لأن الناس يَحيون به؛ أي: يَحيَوْن من موت الكفر كما تحيا الأبدانُ بالأرواح[٨]. وقال ابن زيد: الرُّوح القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[٩] [الشورى: ٥٢]. وقيل: الروح جبريل؛ قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ أي: من قوله. وقيل: من قَضائه. وقيل: «مِنْ» بمعنى الباء، أي:

---

(١) في معاني القرآن ٢/ ٦٧٦، ونقله المصنف عنه بواسطة الناس في إعراب القرآن ٤/ ٢٨.

(٢) في النسخ: رفيع، والمثبت من النكت والعيون ٥/ ١٤٧. والكلام منه.

(٣) في (م): رفعة درجة.

(٤) في المنهاج في شعب الإيمان ١/ ١٩٠.

(٥) ص١٧٧.

(٦) الصحاح (عرش) بنحوه.

(٧) ص١٨٣.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٩٤.

(٩) أخرجه الطبري ٢٠/ ٢٩٥.

بأمره[١]. ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ وهم الأنبياءُ، يشاء هو أن يكونوا أنبياءَ، وليس لأحد فيهم مشيئة.

﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ أي: إنما يبعث الرسول لإنذار يوم البعث. فقوله: «لِيُنْذِرَ» يرجع إلى الرسل[٢]. وقيل: أي: لينذر اللهُ ببعثه الرُّسلَ إلى الخلائق «يَوْمَ التَّلَاقِ». وقرأ ابن عباس والحسن وابن السَّمَيْفَع: «لِتُنْذِرَ» بالتاء خطاباً للنبي عليه الصلاة والسلام[٣].

«يَوْمَ التَّلَاقِ» قال ابن عباس وقتادة: يوم تلتقي أهلُ السماء وأهل الأرض. وقال قتادة أيضاً وأبو العالية ومقاتل: يلتقي فيه الخَلْق والخالق. وقيل: العابدون والمعبودون. وقيل: الظالم والمظلوم. وقيل: يَلْقى[٤] كل إنسان جزاءَ عمله. وقيل: يلتقي الأولون والآخرون على صعيدٍ واحد؛ رُوي معناه عن ابن عباس[٥]. وكلُّه صحيح المعنى.

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ يكون بدلاً من «يوم» الأول[٦]. وقيل: «هم» في موضع رفع بالابتداء، و«بَارِزُونَ» خبرُه، والجملة في موضع خفض بالإضافة؛ فلذلك حذف التنوين من «يومَ» وإنما يكون هذا عند سيبويه إذا كان الظرف بمعنى إذ؛ تقول: لقيتك يومَ زيدٌ أميرٌ. فإن كان بمعنى إذا لم يَجُزْ، نحو: أنا ألقاك يومَ زيدٌ أميرٌ[٧].

ومعنى «بَارِزُونَ» خارجون من قبورهم لا يسترهم شيء[٨]؛ لأن الأرضَ يومئذ

---

(١) زاد المسير ٧/ ٣١٠-٣١١.

(٢) في (م): الرسول.

(٣) القراءات الشاذة ص١٣٢، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨.

(٤) في النسخ الخطية: يلتقي، والمثبت من (م).

(٥) هذه الأقوال في النكت والعيون ٥/ ١٤٨، وتفسير البغوي ٤/ ٩٤، وزاد المسير ٧/ ٣١١.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥١.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨.

(٨) تفسير البغوي ٥/ ٩٤.

قاع صفصف، لا عوج فيها ولا أمْتًا على ما تقدَّم في «طه» بيانه[١].

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ قيل: إن هذا هو العامل في «يومَ هم بارِزُون»، أي: لا يخفى عليه شيء منهم ومن أعمالهم «يوم هم بارِزُونَ»[٢].

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ وذلك عند فَناء الخَلْق. وقال الحسن: هو السائل تعالى وهو المُجيبُ[٣]؛ لأنه يقول ذلك حين لا أحد يُجيبه، فَيُجيب نَفْسه سبحانه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

النحاس[٤]: وأصحُّ ما قيل فيه ما رواه أبو وائل عن ابن مسعود قال: يُحشَرُ الناسُ على أرض بيضاءَ مثل الفضة لم يُعْصَ اللهُ جلّ وعزّ عليها، فيؤمر منادٍ ينادي: «لِمَن المُلْكُ اليوم» فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم: «للهِ الواحدِ القهَّارِ» فيقول المؤمنون هذا سروراً وتلذُّذاً، ويقول الكافرون غمًّا وانقياداً وخُضوعاً. فأما أن يكون هذا والخَلْق غير موجودين فبعيد؛ لأنه لا فائدةَ فيه، والقولُ صحيح عن ابن مسعود، وليس هو مما يُؤخذ بالقياس ولا بالتأويل.

قلت: والقولُ الأول ظاهرٌ جدًّا؛ لأن المقصودَ إظهارُ انفراده تعالى بالمُلك عند انقطاع دعاوى المُدَّعين وانتساب المُنتسبين؛ إذ قد ذهب كلُّ مَلِك ومُلْكه ومُتكبِّر ومُلكه، وانقطعت نسبهم ودعاويهم، ودلَّ على هذا قولُه الحقّ عند قَبْضِ الأرواح وطيّ السماء: «أنا الملِك، أين ملوكُ الأرض» كما تقدَّم في حديث أبي هريرة[٥]، وفي حديث ابن عمر: «ثم يطوي الأرض بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبَّارون، أين المتكبِّرون»[٦]. وعنه: قوله سبحانه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ هو انقطاعُ زمن الدنيا وبعدَه يكون البعثُ والنَّشْر.

---

(١) ١٤/١٣٦ وما بعدها.

(٢) المحرر الوجيز ٤/٥٥١ بنحوه.

(٣) المصدر السابق.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٨-٢٩ .

(٥) ١/٢١٨ و١٨/٣٠٨ ، وهو عند البخاري (٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٦) أخرجه البخاري (٧٤١٢)، ومسلم (٢٧٨٨).

قال محمد بن كعب: قوله سبحانه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ بين النفختين حين فني الخلائق وبقي الخالق فلا يرى غير نفسه مالكاً ولا مملوكاً فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فلا يُجيبه أحد؛ لأن الخَلْقَ أمواتٌ فيجيب نفسَه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ لأنه بقي وحده وقهر خَلْقَه[1]. وقيل: إنه ينادي منادٍ فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فيجيبه أهل الجنة: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ فالله أعلم. ذكره الزمخشري[2].

قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: يقال لهم إذا أَقرُّوا بالملك يومئذ لله وحده: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من خيرٍ أو شرٍّ. ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: لا يُنقَص أحدٌ شيئاً مما عَمِلَه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: لا يحتاجُ إلى تفكُّر وعَقْدِ يدٍ كما يفعله الحُسَّاب؛ لأنه العالم الذي لا يَعزُبُ عن عِلْمه شيء، فلا يُؤخِّرُ جزاءَ أحدٍ للاشتغال بغيره؛ وكما يرزقهم في ساعة واحدة يُحاسبهم كذلك في ساعة واحدة. وقد مضَى هذا المعنى في «البقرة»[3]. وفي الخبر: لا ينتصف النهار حتى يقيل أهلُ الجنة في الجنة وأهلُ النار في النار[4].

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۖ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾ أي: يوم القيامة. سُمِّيت بذلك لأنها قريبة؛ إذْ

(١) النكت والعيون ٥/ ١٤٨.

(٢) في الكشاف ٣/ ٤٢٠.

(٣) ٣/ ٣٥٩ وما بعدها.

(٤) قاله ابن عباس وابن مسعود ﷺ كما سلف ١٥/ ٣٩٨.

كل ما هو آتٍ قريب. وأَزِفَ فلانٌ، أي: قرب يَأْزَفُ أَزَفًا؛ قال النابغة:

أَزِف التَّرحُّلُ غيرَ أنَّ رِكابَنا لَمَّا تَزَلْ بِرحالِنا وَكَأَنْ قَدِ[1]

أي: قَرُبَ. ونظيرُ هذه الآية: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ [النجم:٥٧] أي: قَرُبت الساعة. وكان بعضهم يتمثل ويقول:

أزِف الرَّحيلُ وليس لي مِن زَادِ غير الذُّنُوب لِشِقْوَتِي ونَكادِي[2]

﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ على الحال، وهو محمول على المعنى. قال الزجاج[3]: المعنى: إذ قلوبُ الناس «لَدَى الحناجِرِ» في حال كَظْمهم. وأجاز الفراء[4] أن يكون التقدير: «وأَنْذِرْهُمْ» كاظِمِينَ. وأجاز رفع «كَاظِمِينَ» على أنه خبرٌ للقلوب[5]. وقال: المعنى: إذ هم كاظمون. وقال الكسائي: يجوز رفع ﴿كَٰظِمِينَ﴾ على الابتداء.

وقد قيل: إن المراد بـ«يوم الآزِفَةِ» يوم حضور المنية؛ قاله قطرب، وكذا ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ عند حضور المَنِيَّة. والأوّل أظهر. وقال قتادة: وقعت في الحناجر من المَخافة، فهي لا تخرجُ ولا تعود في أمكنتها[6]، وهذا لا يكون إلا يوم القيامة كما قال: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم:٤٣].

وقيل: هذا إخبارٌ عن نهاية الجَزَع؛ كما قال: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب:١٠]. وأُضيف اليومُ على ﴿ٱلْآزِفَةِ﴾ على تقدير: يوم القيامةِ ﴿ٱلْآزِفَةِ﴾، أو يوم المجادلة ﴿ٱلْآزِفَةِ﴾. وعند الكوفيين هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه، مثل:

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص٣٨، وفيه: أَفِدَ، بدل: أزف، وهو برواية المصنف في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٣، وتفسير الرازي ٢٧/ ٤٩.

(٢) قائله ابن الجهم الحوفي المصري، كما في خريدة القصر للعماد الأصفهاني (شعراء مصر) ٢/ ٢٠٠.

(٣) في معاني القرآن ٤/ ٣٦٩، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٩.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٦.

(٥) يعني في اللغة لا في التلاوة.

(٦) النكت والعيون ٥/ ١٤٩.

مسجد الجامع، وصلاة الأولى[١].

﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: من قريب ينفع ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ فيشفع فيهم.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ قال المُؤَرِّجُ: فيه تقديمٌ وتأخير، أي: يعلم الأعينَ الخائنة. وقال ابن عباس: هو الرجل يكون جالساً مع القوم فتمرُّ المرأةُ فَيُسارقهم النظرَ إليها. وعنه: هو الرجل ينظر إلى المرأة، فإذا نظر إليه أصحابُه غَضَّ بصرَه، فإذا رأى منهم غَفْلةً تدسَّسَ بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابُه غَضَّ بصره، وقد علم الله عزَّ وجلَّ منه أن بودِّه[٢] لو نظر إلى عورتها[٣].

وقال مجاهد: هي مسارقة نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه. وقال قتادة: هي الهَمْزة بعينه وإغماضه فيما لا يحبُّ الله تعالى[٤].

وقال الضحاك: هو قول الإنسان: ما رأيتُ، وقد رأى، ورأيتُ، وما رأى. وقال السدي: إنها الرَّمْز بالعين. وقال سفيان: هي النظرة بعد النظرة[٥].

وقال الفراء[٦]: «خَائِنَةَ الأَعْيُنِ» النظرة الثانية، «ومَا تُخْفِي الصُّدُورُ» النظرة الأولى. وقال ابن عباس: «ومَا تُخْفِي الصُّدُورُ» أي: هل يزني بها لو خلا بها أو لا. وقيل: «وما تُخْفي الصُّدورُ» تُكِنُّه وتُضْمِرُه[٧].

ولما جيء بعبد الله بن أبي سَرْح إلى رسول الله ﷺ، بعد ما اطمأنَّ أهلُ مكة وطلب له الأمانَ عثمانُ ﷺ، صَمَتَ رسولُ الله ﷺ طويلاً ثم قال: «نعم» فلما انصرف، قال رسولُ الله ﷺ لمن حوله: «ما صَمَتُّ إلا لِيقومَ إليه بعضُكم فيضربَ عُنُقَه» فقال رجلٌ من

---

(١) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٤٧.

(٢) في (م): أنه يودّ.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٢١٤.

(٤) أخرجهما الطبري ٢٠/ ٣٠٤.

(٥) النكت والعيون ٥/ ١٥٠.

(٦) معاني القرآن ٣/ ٧، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٩.

(٧) النكت والعيون ٥/ ١٥٠.

الأنصار: فهلَّا أومأتَ إليَّ يا رسولَ الله؛ فقال: «إنَّ النبيَّ لا تكون له خائنةُ أعين»[١].

﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ﴾ أي: يُجازي من غَضَّ بصرَه عن المحارم، ومَن نظر إليها، ومن عَزَمَ على مُواقعة الفواحش إذا قدر عليها[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني الأوثان ﴿لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾ لأنها لا تعلم شيئاً ولا تقدر عليه ولا تملك[٣].

وقراءة العامة بالياء على الخبر على الظالمين، وهي اختيار أبي عُبيد وأبي حاتم. وقرأ نافع وشيبة وهشام: «تَدْعُونَ» بالتاء[٤]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ «هو» زائدة فاصلة. ويجوز أن تكون في موضع رفع بالابتداء وما بعدها خبرٌ، والجملة خبر «إن»[٥].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ﴾ في موضع جزم عطف على «يَسِيرُوا»، ويجوز أن يكونَ في موضع نصب على أنه جواب، والجزم والنصب في التثنية والجمع واحد. ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾ اسم كان، والخبر في «كيف». و﴿وَاقٍ﴾ في موضع خَفْض معطوف على اللفظ. ويجوز أن يكون في موضع رَفْع على الموضع، فرفعُه وخَفْضُه واحد؛ لأن الياء تُحذف وتبقى الكسرة دالَّةً عليها[٦]. وقد مضَى الكلام في معنى هذه الآية في غير موضع، فأغنى عن الإعادة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٨٣)، والنسائي ٧/ ١٠٥-١٠٦ من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ، وعبد الله بن أبي سرح كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ثم ارتدّ ولحق بالمشركين، فأمر النبي ﷺ يوم فتح مكة بقتله... وأسلم أيام الفتح، وولاّه عثمان رضي الله عنهما مصر، وسلفت قصته ٨/ ٤٥٩ وما بعدها.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٠٣ بنحوه.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٩٥ .

(٤) السبعة ص٥٦٨ ، والتيسير ص١٩١ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٩ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٠ .

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ وهي التسعُ الآياتُ المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ وقد مضى تعيينها[1]. ﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بِحُجَّة واضحةٍ بينة، وهو يُذكَّر ويُؤنَّث[2]. وقيل: أراد بالسلطان التوراة.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ﴾ خصَّهم بالذِّكر لأن مدارَ التدبير في عداوة موسى كان عليهم[3]؛ ففرعون الملك وهامان الوزير وقارون صاحب الأموال والكنوز فجمعه اللهُ معهما؛ لأن عمله في الكفر والتكذيب كأعمالهما.

﴿فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ لما عَجَزوا عن معارضته حملوا المُعجزات على السِّحر.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا﴾ وهي المُعجزة الظاهرة ﴿قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ قال قتادة: هذا قَتْلٌ غير القتل الأول؛ لأنَّ فرعون كان قد أَمسك عن قتل الوِلدان وقت[4] ولادة موسى، فلما بعثَ اللهُ موسى أعاد القتل على بني إسرائيل عقوبةً لهم، فيمتنع الإنسان من الإيمان؛ ولئلا يَكثُرَ جمعُهم فيعتضدوا بالذُّكور من أولادهم، فشغلهم اللهُ عن ذلك بما أنزل عليهم من أنواع العذاب،

---

(١) ١٨/ ١٨١ وما بعدها.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٠.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٤، بنحوه.

(٤) في (م): بعد.

كالضفادع والقُمَّل والدَّم والطُّوفان إلى أن خرجوا من مصر، فأغرقهم الله. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ أي: في خُسران وهَلاك، وإن الناسَ لا يمتنعون من الإيمان وإن فعل بهم مثل هذا فكيده يذهب باطلاً[١].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ «أَقْتُلْ» جزم؛ لأنه جوابُ الأمر. «وَلْيَدْعُ» جزم؛ لأنه أمر، و«ذَرُونِي» ليس بمجزوم وإن كان أمراً، ولكن لفظُه لفظُ المجزوم، وهو مَبنيّ. وقيل: هذا يدلُّ على أنه قيل لفرعون: إنا نخاف أن يدعوَ عليك فيجاب؛ فقال: «وَلْيَدْعُ رَبَّه»[٢] أي: لا يهولنَّكم ما يذكر من ربِّه، فإنه لا حقيقةَ له، وأنا ربُّكم الأعلى.

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ أي: عبادتَكم لي إلى عبادة ربِّه ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ إنْ لم يُبدلْ دينكم، فإنه يظهر في الأرض الفساد. أي: يقع بين الناس بسببه الخلاف.

وقراءة المدنيين وأبي عبد الرحمن السُّلَمي وابن عامر وأبي عمرو: «وَأنْ يُظْهرَ في الأرْضِ الفَسَادَ»، وقراءة الكوفيين: «أوْ أنْ يَظْهرَ» بفتح الياء «الفَسَادُ» بالرفع[٣]، وكذلك هي في مصاحف الكوفيين: «أو» بألف، وإليه يذهب أبو عُبيد؛ قال: لأن فيه زيادَة حرف، وفيه فصل؛ ولأن «أو» تكون بمعنى الواو. النحاس[٤]: وهذا عند حُذَّاق النحويين لا يجوز أن تكون بمعنى الواو؛ لأن في ذلك بطلانَ المعاني، ولو جاز أن

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٠ بنحوه، وقول قتادة ذكره أيضاً البغوي في تفسيره ٤/ ٩٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢١٥ بنحوه.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣١.

(٣) قرأ نافع أبو عمرو: «وأن يُظْهِرَ»، وقرأ ابن كثير وابن عامر: «وأَنْ يَظْهرَ»، وقرأ عاصم في رواية شعبة وحمزة والكسائي: «أو أنْ يَظْهر»، وقرأ عاصم في رواية حفص: «أَوْ أنْ يُظْهِرَ». ومن قرأ: «يُظهِرَ» بضم الياء، قرأ: «الفسادَ» بالنصب، ومن قرأ: «يَظْهر» بفتح الياء، قرأ: «الفسادُ» بالضم. السبعة ص٥٦٩، والتيسير ص١٩١.

(٤) إعراب القرآن ٤/ ٣١، وما قبله منه.

تكون بمعنى الواو لما احتيج إلى هذا ها هنا؛ لأن معنى الواو «إنِّي أخَافُ» الأمرين جميعاً، ومعنى «أو» لأحد الأمرين، أي: «إنِّي أخَافُ أن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ» فإن أعوزَه ذلك أظهرَ في الأرض الفساد.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ لما هدَّده فرعون بالقتل استعاذ موسى بالله ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ أي: مُتعظِّم عن الإيمان بالله، وصفتُه أنه ﴿لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: «وَقَالَ رَجُلٌ مؤمِنٌ» ذكر بعض المفسرين: أن اسم هذا الرجل حبيب[١]. وقيل: شمعان، بالشين المعجمة. قال السُّهيلي[٢]: وهو أصحُّ ما قيل فيه. وفي «تاريخ» الطبري رحمه الله: اسمه خير[٣]. وقيل: حزفيل؛ ذكره الثعلبي عن ابن عباس[٤] وأكثرِ العلماء. الزمخشري[٥]: واسمه سمعان أو حبيب. وقيل: خربيل أو حزبيل.

واختُلف هل كان إسرائيلياً أو قِبْطياً، فقال الحسن وغيره: كان قبطياً. ويقال: إنه

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ١٥٢ وعزاه لابن إسحاق.

(٢) في التعريف والإعلام ص١٣١ و١٥١ . وعنه نقل المصنف قول الطبري التالي، وهو في تاريخه ١/ ٤٠٧ .

(٣) في (ظ): جبر، والمثبت موافق للتعريف والإعلام، وفي تاريخ الطبري: حبرك، وفي تفسير الطبري ٢٠/ ٣١١ : خبرك.

(٤) في كتب التفسير أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اسم الرجل: حزبيل.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٢٤ .

كان ابنَ عم فرعون؛ قاله السدي. قال: وهو الذي نجا مع موسى عليه السلام؛ ولهذا قال: «مِنْ آلِ فِرعونَ» وهذا الرجُل هو المُرادُ بقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ الآية [القصص: ٢٠]. وهذا قول مقاتل. وقال ابن عباس: لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذي أنذر موسى فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾[1].

وفي هذا تسليةٌ للنبي ﷺ، أي: لا تَعْجب من مُشركي قومك. وكان هذا الرجل له وَجاهة عند فرعون؛ فلهذا لم يتعرض له بسوء. وقيل: كان هذا الرجلُ من بني إسرائيل يَكتُم إيمانَه من آل فرعون؛ عن السُّدي أيضاً. ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير، والتقدير: وقال رجلٌ مؤمنٌ يَكْتُم إيمانَه من آل فرعون[2].

فمن جعل الرجل قِبطيًّا فـ«من» عنده متعلقة بمحذوف صفة لرجل؛ التقدير: وقال رجلٌ مؤمن منسوبٌ من آل فرعون؛ أي: من أهله وأقاربه. ومن جعله إسرائيليًّا فـ«مِن» مُتعلِّقة بـ«يكتم». في موضع المفعول الثاني لـ«يكتم» القشيري: ومن جعله إسرائيليًّا ففيه بُعْدٌ؛ لأنه يقال: كَتَمه أمر كذا، ولا يقال: كَتَم منه. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾[3] [النساء: ٤٢] وأيضاً ما كان فرعون يحتمل من بني إسرائيل مثلَ هذا القول.

الثانية: قوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ أي: لِأَنْ يقول، ومن أجل «أنْ يقولَ رَبِّيَ اللهُ» فـ «أنْ» في موضع نصب بنزع الخافض.

﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعني الآيات التسع ﴿مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ﴾ ولم يكن ذلك لشكٍّ منه في رسالته وصِدْقه، ولكن تَلطُّفًا في الاستكفاف

(١) هذه الأقوال في النكت والعيون ٥/ ١٥٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٩٦ ، وزاد المسير ٧/ ٢١٧ .

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ٩٦ بنحوه.

(٣) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٢٧/ ٥٧ .

واستنزالاً عن الأذى[١]. ولو كان و«إنْ يكن» بالنون جاز[٢]، ولكن حُذفت النون لِكَثْرةِ الاستعمال على قول سيبويه؛ ولأنها نونُ الإعراب على قول أبي العباس[٣].

﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ أي: إن لم يُصبكم إلا بعض الذي يعدكم، به هَلَكْتُم. ومذهبُ أبي عُبيدة[٤] أن معنى ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ كل الذي يَعِدُكم وأنشد قولَ لبيد:

تَـرَّاكُ أَمِـكـنَـةٍ إذا لـم أرْضَـهـا   أو يَرْتَبِطْ بعضَ النفوسِ حِمامُها[٥]

فبعض بمعنى كلّ[٦]؛ لأن البعضَ إذا أصابهم أصابهم الكلّ لا محالةَ؛ لدخوله في الوعيد، وهذا ترقيق الكلام في الوعظ. وذكر الماوردي[٧]: أن البعض قد يستعمل في موضع الكلّ تلطُّفاً في الخِطاب وتوسُّعاً في الكلام؛ كما قال الشاعر:

قـد يُـدْرِك الـمـتـأنِّـي بـعـضَ حَـاجـتِـهِ   وقد يكون مع المُستعجِلِ الزَّلَلُ[٨]

وقيل أيضاً: قال ذلك لأنه حذَّرهم أنواعاً من العذاب كل نوع منها مُهلِكٌ؛ فكأنه حذَّرهم أن يُصيبهم بعضُ تلك الأنواع. وقيل: وعدَهم موسى بعذاب الدنيا أو بعذاب الآخرة إن كفروا؛ فالمعنى: يُصبكم أحدُ العذابين. وقيل: أي: يُصِبْكم هذا العذابُ الذي يقوله في الدنيا وهو بعضُ الوعد[٩]، ثم يترادف العذابُ في الآخرة أيضاً.

---

(١) في النكت والعيون ٥/ ١٥٣ .

(٢) يعني في اللغة لا في التلاوة.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣١ .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٢٠٥ .

(٥) شرح ديوان لبيد ص٣١٣ ، وفيه: يعتلق، بدل: يرتبط.

(٦) قال النحاس في معاني القرآن ٦/ ٢١٦ : وهذا قول مرغوب عنه، لأن فيه بطلان المعاني. وقال الرازي في تفسيره ٢٧/ ٥٨ : والجمهور على أن هذا القول خطأ، قالوا: وأراد لبيد ببعض النفوس نفسه.

(٧) النكت والعيون ٥/ ١٥٣ .

(٨) قائله القطامي، وهو في ديوانه ص٢٥ .

(٩) في (م): الوعيد.

وقيل: وعدَهم العذابَ إن كفروا والثوابَ إنْ آمنوا، فإذا كفروا يُصيبهم بعضُ ما وُعِدوا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ﴾ على نفسه ﴿كَذَّابٞ﴾ على ربِّه، إشارة إلى موسى، ويكون هذا من قول المؤمن. وقيل: «مُسْرِفٌ» في عناده، «كَذَّابٌ» في ادّعائه إشارة إلى فرعون، ويكون هذا من قول الله تعالى[١].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ قال القاضي أبو بكر بن العربي[٢]: ظنَّ بعضُهم أن المُكلَّف إذا كتم إيمانَه ولم يتلفَّظ به بلسانه أنه لا يكون مؤمناً باعتقاده، وقد قال مالك: إن الرجلَ إذا نوى بقلبه طلاقَ زوجته أنه يلزمه، كما يكون مؤمناً بقلبه وكافراً بقلبه. فجعل مدارَ الإيمان على القلب وأنه كذلك، لكن ليس على الإطلاق، وقد بيَّناه في أصول الفقه؛ بما لُبابه أن المُكلَّف إذا نوى الكفر بقلبه كان كافراً وإن لم يتلفَّظ بلسانه، وأما إذا نوى الإيمانَ بقلبه فلا يكون مؤمناً بحال حتى يتلفظ بلسانه، ولا تمنعه التَّقِيَّةُ والخوف من أن يتلفَّظَ بلسانه فيما بينه وبين الله تعالى، إنما تمنعه التَّقِيَّةُ من أن يسمعه غيره، وليس من شرط الإيمان أن يسمعَه الغيرُ في صحته من التكليف، وإنما يُشترط سماعُ الغير له ليكفَّ عن نفسه وماله.

الرابعة: روى البخاري ومسلم عن عروةَ بن الزبير قال: قلتُ لعبد الله بن عمرو بن العاص: أَخْبِرْني بأشدِّ ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ؛ قال: بينا رسولُ الله ﷺ بِفِنَاء الكعبة، إذ أقبل عقبةُ بن أبي مُعَيط، فأخذ بِمَنْكِبِ رسول الله ﷺ، ولوى ثوبَه في عُنقه فخنقه به خَنْقًا شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بِمَنْكِبِهِ ودفع عن رسول الله ﷺ، وقال: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ لفظ البخاري[٣].

خرجه الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» من حديث جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي ﷺ قال: اجتمعَتْ قريش بعد وفاة أبي طالب بثلاث، فأرادوا قَتْلَ

---

(١) النكت والعيون ٥/ ١٥٣ .

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٤٧ .

(٣) الحديث (٤٨١٥)، ولم نقف عليه في صحيح مسلم، وأخرجه أحمد (٦٩٠٨).

رسول الله ﷺ، فأقبل هذا يجؤه وهذا يُتَلتله[١]، فاستغاث النبيُّ ﷺ يومئذ فلم يُغِثه أحدٌ إلا أبو بكر، وله ضفيرتان، فأقبل يَجَأُ ذا ويُتلتل ذا، ويقول بأعلى صوته: ويلكم «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أن يقولَ رَبِّيَ الله» والله، إنه لرسول الله؛ فَقُطِعَتْ إحدى ضفيرتي أبي بكر يومئذ. فقال عليٌّ: والله، لَيوم أبي بكر خيرٌ من مؤمن آل فرعون؛ إنَّ ذلك رجلٌ كَتَمَ إيمانَه، فأثنى الله عليه في كتابه، وهذا أبو بكر أَظهر إيمانَه وبذلَ مالَه ودمَه لله عزّ وجلّ[٢].

قلت: قول عليّ ﷺ: إن ذلك رجلٌ كَتَم إيمانه يُريد في أول أمره بخلاف الصدّيق، فإنه أَظهر إيمانَه ولم يَكْتُمْه؛ وإلا فالقرآن مُصَرِّح بأن مؤمنَ آل فرعون أظهر إيمانه لمَّا أرادوا قَتْلَ موسى عليه السلام على ما يأتي بيانه[٣].

وفي «نوادر الأصول» أيضاً عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالوا لها: ما أشدُّ شيءٍ رأيتِ المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان المشركون قعوداً في المسجد، ويتذاكرون رسولَ الله ﷺ ما يقول في آلهتهم، فبيناهم كذلك إذ دخل رسولُ الله ﷺ، فقاموا إليه بأجمعهم، وكانوا إذا سألوه عن شيء صدَقهم، فقالوا: ألستَ تقول كذا في آلهتنا، قال: «بلى» فَتَشبَّثوا فيه بأجمعهم فأتى الصَّريخ إلى أبي بكر فقال له: أدرِكْ صاحبَك. فخرج من عندنا وإن له غدائرَ، فدخل المسجد وهو يقول: ويلكم ﴿أَنَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ فلهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر، فَرَجَعَ إلينا أبو بكر فجعل لا يمسُّ شيئاً من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول: تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام، إكرام إكرام[٤].

---

(١) قوله: يجؤه، أي: يضربه، والتَّلْتلة: التحريك، والإقلاق، والزعزعة. القاموس المحيط (وجأ) و(تلل).

(٢) نوادر الأصول ص٢٤٤، وأخرجه البزار في البحر الزخار (٧٦١) بنحوه مطولاً وقال: وهذا الحديث لا نعلمه يُروى عن علي إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد.

(٣) في الآيات التالية.

(٤) نوادر الأصول ص٢٤٥، وأخرجه الحميدي في مسنده (٣٢٤).

قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ هذا من قول مؤمن آل فرعون، وفي قوله «يا قَوْمِ» دليل على أنه قبطيّ، ولذلك أضافهم إلى نفسه فقال: «يَا قَوْمِ» ليكونوا أقربَ إلى قَبول وَعْظه «لكم المُلْكُ» فاشكروا الله على ذلك.

﴿ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: غالبين، وهو نصب على الحال[1]، أي: في حال ظُهوركم. والمراد بالأرض أرضُ مصر في قول السدي وغيره؛ كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٢١] أي: في أرض مصر.

﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ﴾ أي: من عذاب الله؛ تحذيراً لهم من نِقَمِهِ إن كان موسى صادقاً، فذكَّر وحذَّر، فعلم فرعون ظُهور حُجَّته فقال: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ما أُشير عليكم إلا ما أرى لنفسي ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ في تكذيب موسى والإيمان بي[2].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ﴾ زادهم في الوعظ ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ يعني أيام العذاب التي عُذِّب فيها المتحزِّبون على الأنبياء المذكورين فيما بعد.

قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ زاد في الوعظ والتخويف وأفصحَ عن إيمانه، إما مستسلماً مُوَطِّنًا نفسَه على القتل، أو واثقاً بأنهم لا يَقصِدونه

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣١.

(٢) النكت والعيون ٥/ ١٥٤.

بسوء، وقد وَقَاهُ الله شرَّهم بقوله الحق ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ۖ﴾. وقراءة العامة ﴿ٱلتَّنَادِ﴾ بتخفيف الدال وهو يوم القيامة؛ قال أمية بن أبي الصَّلت:

وبَثَّ الخَلْق فيها إذْ دَحاها فهم سُكَّانُها حتى التَّناد[١]

سُمِّي بذلك لمناداة الناس بعضَهم بعضاً؛ فينادي أصحابُ الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم، ويُنادي أصحابُ الجنة أصحابَ النار: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ ويُنادي أصحابُ النار أصحابَ الجنة: ﴿أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [الأعراف: ٥٠] ويُنادي المنادي أيضاً بالشِّقوة والسعادة: ألا إنَّ فلانَ بن فلان قد شقي شقاوةً لا يسعدُ بعدَها أبداً، ألا إن فلان بن فلان قد سَعِدَ سعادةً لا يشقى بعدَها أبداً. وهذا عند وزن الأعمال. وتُنادي الملائكةُ أصحابَ الجنة: ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] ويُنادَى حين يذبح الموت: يا أهلَ الجنة، خلودٌ لا موت، ويا أهلَ النار، خلودٌ لا موت. ويُنادَى كلُّ قوم بإمامهم، إلى غير ذلك من النداء[٢].

وقرأ الحسن وابن السَّميفع ويعقوب وابن كثير ومجاهد: «التَّنَادي» بإثبات الياء في الوصل والوقف على الأصل[٣]. وقرأ ابن عباس والضحاك وعكرمة: «يوم التَّنَادِّ» بتشديد الدال[٤]. قال بعضُ أهل العربية: هذا لحنٌ؛ لأنه من نَدَّ يَنِدُّ، إذا مَرَّ على وجهه هارباً؛ كما قال الشاعر:

وبَرْكٍ هُجُودٍ قد أثارتْ مَخافتي نَواديَها أَسْعى بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ[٥]

قال: فلا معنى لهذا في القيامة. قال أبو جعفر النحاس[٦]: وهذا غلطٌ، والقراءة

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ١٥٤.

(٢) الكلام بنحوه في النكت والعيون ٥/ ١٥٤-١٥٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٥٨، وتفسير الرازي ٢٧/ ٦١.

(٣) قراءة ابن كثير في التيسير ص١٩٢، وقراءة يعقوب من العشرة في النشر ٢/ ٣٦٦.

(٤) القراءات الشاذة ص١٣٢، والمحتسب ٢/ ٢٤٣.

(٥) قائله طرفة بن العبد، وهو في ديوانه ص٣٧، وفيه: بواديها أمشي، بدل: نواديها أسعى. وقوله: بَرْك: أي: جماعة الإبل الباركة، وهجود: جمع هاجد، وهو النائم. والعَضْب: السيف القاطع. اللسان (برك) و(هجد) و(عضب).

(٦) في معاني القرآن ٦/ ٢٢٠، وما قبله منه.

بها حسنةٌ على معنى يوم التنافر.

قال الضحاك: ذلك إذا سَمِعوا زفيرَ جهنم نَدُّوا هرباً، فلا يأتون قِطْراً من أقطار الأرض إلا وجدوا صفوفاً من الملائكة، فيرجِعون إلى المكان الذي كانوا فيه[١]؛ فذلك قوله: «يَوْمَ التَّنَادِ»، وقوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [الرحمن: ٣٣]، وقوله: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ [الحاقة: ١٧] ذكره ابن المبارك بمعناه؛ قال: وأخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: حدّثنا عبد الجبار بن عُبيد الله بن سلمان في قوله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ ثم تستجيبُ لهم أعينُهم بالدَّمع فيبكون حتى يَنْفَدَ الدَّمع، ثم تستجيبُ لهم أعينُهم بالدَّم فيبكون حتى يَنْفَدَ الدم، ثم تستجيب لهم أعينُهم بالقَيْح. قال: يُرسَل عليهم من الله أمرٌ، فَيُوَلُّون مُدْبرين، ثم تستجيبُ لهم أعينهم بالقيح، فيبكون حتى يَنْفَدَ القيح، فتغورُ أعينُهم كالخَرْق في الطين.

وقيل: إن هذا يكون عند نَفْخِ إسرافيلَ عليه السلام في الصُّور نَفْخةَ الفَزَع[٢].

ذكره علي بن مَعْبد والطبري وغيرهما من حديث أبي هريرة، وفيه: «فتكون الأرضُ كالسفينة في البحر تَضْرِبها الأمواجُ، فيميدُ الناسُ على ظَهْرها وتَذْهَلُ المراضعُ، وتضعُ الحواملُ ما في بطونها، وتشيبُ الوِلدانُ، وتتطاير الشياطين هاربةً، فتلقاها الملائكةُ تضربُ وجوهَها، ويُوَلِّي الناس مُدبرين يُنادي بعضُهم بعضاً، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ الحديثَ بكماله[٣]. وقد ذكرناه في كتاب «التذكرة»[٤] وتكلَّمنا عليه هناك.

---

(١) زاد المسير ٧/ ٢٢٠.

(٢) الزهد لابن المبارك (زوائد نعيم) (٣٥٦).

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ٣١٧. وهو حديث طويل أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (٣٦) وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢٨٢-٢٨٧ بطوله، ثم قال: هذا حديث مشهور، وهو غريب جداً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة.

(٤) ص١٧٣ و١٩٣.

وروى عليّ[١] بن نصر عن أبي عمرو إسكانَ الدال من «التَّناد» في الوصل خاصة. وروى أبو معمر عن عبد الوارث[٢] زيادةَ الياء في الوصل خاصة، وهو مذهبُ ورش. والمشهور عن أبي عمرو حَذْفُها في الحالين. وكذلك قرأ سائرُ السبعة سوى ورش على ما ذكرنا عنه، وسوى ابن كثير على ما تقدَّم[٣].

وقيل: سُمِّي يومُ القيامة يومَ التَّناد؛ لأن الكافرَ ينادي فيه بالويل والثُّبور والحَسْرة. قاله ابن جريج[٤]. وقيل: فيه إضمارٌ، أي: إني أخافُ عليكم عذابَ يوم التناد؛ فالله أعلم.

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ على البدل من «يوم التَّناد»[٥].

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ أي: مَن خَلَق اللهُ في قلبه الضَّلالَ فلا هاديَ له. وفي قائله قولان: أحدُهما: موسى. الثاني: مؤمن آل فرعون[٦]، وهو الأظهرُ. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ قيل: إنَّ هذا من قول موسى. وقيل: هو من تَمام وعظ مؤمن آل فرعون؛ ذَكَّرهم قديمَ عُتُوِّهم على الأنبياء؛

(١) في (م): عن علي.

(٢) كذا في النسخ: عن عبد الوارث، ولعله يريد: عبد الوارث عن أبي عمرو.

(٣) التيسير ص١٩٢ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ١٥٤ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٢ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ١٥٥ .

وأراد: يوسفُ بن يعقوب جاءهم بالبينات: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[١] [يوسف: ٣٩]. قال ابن جُريج: هو يوسفُ بن يعقوب بعثه الله تعالى رسولاً إلى القِبط بعد موت الملك من قَبْلِ موسى بالبينات؛ وهي الرؤيا[٢]. وقال ابن عباس: هو يوسف بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيّاً عشرين سنة[٣]. وحكى النقاش عن الضحاك: إن الله تعالى بعثَ إليهم رسولاً من الجن يقال له: يوسف[٤].

وقال وهب بن منبِّه: إن فرعون موسى هو فرعون يوسف عُمِّر. وغيره يقول: هو آخر.

النحاس[٥]: وليس في الآية ما يدلُّ على أنه هو؛ لأنه إذا أتى بالبينات نبيٌّ لمن معه ولمن بعده فقد جاءهم جميعاً بها، وعليهم أن يُصدِّقوه بها.

﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ أي: أسلافُكم كانوا في شكٍّ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ أي: مَن يدَّعي الرسالة ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ أي: مثل ذلك الضَّلال ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مُشرِكٌ ﴿مُّرْتَابٌ﴾ شاكٌّ في وحدانية الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: في حُجَجِهِ الظاهرة ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ أي: بغير حُجَّة وبرهان، و«الذين» في موضع نَصْب على البدل من «مَنْ»، وقال الزجاج[٦]: أي: كذلك يُضِلُّ الله الذين يُجادلون في آيات الله فـ«الذين» نصب.

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٩٧.

(٢) النكت والعيون ٥/ ١٥٥.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٢٦ دون نسبة.

(٤) النكت والعيون ٥/ ١٥٥. قال ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٢١ هو يوسف بن يعقوب، ويقال: إنه ليس به، وليس بشيء.

(٥) إعراب القرآن ٤/ ٣٣.

(٦) في معاني القرآن ٤/ ٣٧٤، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٣، وما قبله منه.

قال: ويجوز أن يكون رَفْعًا على معنى: هم الذين، أو على الابتداء، والخبر ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾.

ثم قيل: هذا من كلام مؤمن آل فرعون. وقيل: ابتداء خطاب من الله تعالى. «مَقْتًا» على البيان، أي: «كَبُرَ» جِدالهم «مَقْتًا»؛ كقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾[1] [الكهف: ٥] ومَقْتُ الله تعالى ذَمُّه لهم ولَعْنُه إيَّاهم وإحلالُ العذاب بهم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما طبعَ الله على قلوب هؤلاء المُجادلين، فكذلك ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ أي: يَخْتِمُ ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ حتى لا يعقل الرَّشاد، ولا يقبلَ الحقَّ.

وقراءة العامة: ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ بإضافة قلب إلى المتكبر، واختاره أبو حاتم وأبو عُبيد.

وفي الكلام حذف، والمعنى: «كذلكَ يَطْبَعُ اللهُ على كُلِّ قَلْبٍ» على كل «مُتَكبِّرٍ جَبَّارٍ» فحذف «كُلّ» الثانية لِتقدُّم ما يدلُّ عليها. وإذا لم يُقدَّر حذفُ «كلّ» لم يستقم المعنى؛ لأنه يصير معناه: أنه يطبعُ على جميع قلبه، وليس المعنى عليه. وإنما المعنى أنه يطبع على قلوب المتكبرين الجبارين قلباً قلباً. ومما يدلُّ على حذف «كُلّ» قول أبي دُؤَاد:

أكُلَّ امرِئٍ تَحْسَبِين امرأً ونارٍ تَوَقَّدُ بالَّليل نارا[2]

يريد: وكلّ نارٍ. وفي قراءة ابن مسعود: «على قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ»[3] فهذه قراءةٌ على التفسير والإضافة. وقرأ أبو عمرو وابن مُحيصن وابن ذكوان عن أهل الشام: «قلبٍ» مُنَوَّن[4] على أن «متكبرٍ» نعت للقلب، فكَنَى بالقلب عن الجُملة؛ لأن القلب هو الذي يتكبَّر، وسائرُ الأعضاء تَبَعٌ له؛ ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ في الجسد مُضغةً إذا صَلَحَتْ

(١) إعراب القرآن ٤/ ٣٣، بنحوه.

(٢) البيت في الكتاب ١/ ٦٦، والحجة للفارسي ٦/ ١١٠-١١١ والكلام الذي قبله فيه بنحوه.

(٣) القراءات الشاذة ص١٣٢.

(٤) السبعة ص٥٧٠، والتيسير ص١٩١. وينظر الحجة للفارسي ٦/ ١٠٩-١١٠.

صَلَحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فَسدَت فسدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلب»[١] ويجوز أن يكون على حذف المضاف؛ أي: على كل ذي قلب مُتكبِّر؛ تجعلُ الصفةَ لصاحب القلب.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ لما قال مؤمنُ آل فرعون ما قال، وخاف فرعونُ أن يتمكَّن كلامُ هذا المؤمن في قلوب القوم، أَوْ هَمَ أنه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد، فإنْ بانَ له صوابُه لم يُخفِه عنهم، وإن لم يَصِحَّ ثَبَّتَهُمْ على دينهم؛ فأمر وزيره هامان ببناء الصَّرح. وقد مضى في «القصص» ذكره[٢].

﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ . أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ «أسْبَابَ السَّمَواتِ» بدل من الأوَل. وأسبابُ السماء أبوابُها في قول قتادة والزهري والسُّدِّي والأخفش؛ وأنشد:

ومَنْ هاب أسبابَ المنايا يَنَلْنَهُ ولو رامَ أسْباب السَّماءِ بِسُلَّمِ[٣]

وقال أبو صالح: أسباب السماوات طُرقها[٤]. وقيل: الأمور التي تستمسك بها السماوات. وكرَّر «أسباب» تفخيماً؛ لأن الشيء إذا أُبهم ثم أُوضح كان تفخيماً لشأنه[٥]. والله أعلم.

﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ فأنظُرَ إليه نظرَ مُشْرِفٍ عليه. تَوهَّم أنه جسمٌ تحويه الأماكن. وكان فرعون يدَّعي الأُلوهية، ويرى تحقيقها بالجلوس في مكان مُشرِف.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بَشير ﷺ، وسلف ١/ ٢٨٧ .

(٢) ١٣/ ٢٨٨ .

(٣) قائله زهير، وهو في شرح ديوانه ص٣٠ ، والبيت من معلقته، ينظر شرح المعلقات السبع للزوزني ص٨٧ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ١٥٦ . والبيت وما قبله منه.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٢٨ .

وقراءة العامة: «فَأَطَّلِعُ» بالرفع نسقاً على قوله: «أَبْلُغُ»، وقرأ الأعرج والسُّلَمي وعيسى وحفص: «فَأَطَّلِعَ» بالنصب[١]؛ قال أبو عُبيد[٢]: على جواب «لعل» بالفاء. النحاس: ومعنى النصب خلافُ معنى الرفع؛ لأن معنى النصب: متى بلغتُ الأسباب اطَّلعتُ. ومعنى الرفع لعلِّي أبلغُ الأسبابَ، ثم لَعلّي أَطَّلِعُ بعد ذلك؛ إلا أن ثم أشدُّ تراخياً من الفاء.

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَٰذِبًا﴾ أي: وإني لأظن موسى كاذباً في ادِّعائه إلهاً دوني، وإنما أفعلُ ما أفعلُ لإزاحةِ العِلَّة. وهذا يوجب شكَّ فرعون في أمر الله. وقيل: إن الظن بمعنى اليقين، أي: وأنا أتيقَّن أنه كاذب، وإنما أقولُ ما أقولُه لإزالة الشُّبهة عمن لا يَتيقّن[٣] ما أتيقَّنه.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ أي: كما قال هذه المَقالة وارتابَ زَيَّن له الشيطانُ، أو زَيَّن الله سوءَ عمله، أي: الشرك والتكذيب.

﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قراءة الكوفيين «وصُدَّ» على ما لم يُسمَّ فاعلُه[٤]، وهو اختيار أبي عُبيد وأبي حاتم. ويجوز على هذه القراءة «وَصِدَّ» بكسر الصاد، نُقلت كسرة الدال[٥] على الصاد؛ وهي قراءة يحيى بن وثَّاب[٦] وعلقمة. وقرأ ابن أبي إسحاق وعبد الرحمن بن أبي بَكْرة «وَصَدٌّ عَنِ السَّبِيلِ» بالرفع والتنوين[٧]. الباقون «وَصَدَّ» بفتح الصاد والدال. أي: صدَّ فرعونُ الناسَ عن السبيل.

---

(١) السبعة ص٥٧٠ ، والتيسر ص١٩٢ .

(٢) في (م): أبو عبيدة، والمثبت موافق لإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣ ، والكلام منه.

(٣) في (م): أتيقن.

(٤) السبعة ص٥٧١ ، والتيسير ص١٣٣ .

(٥) يعني الدال الأُولى من «صُدَّ». والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣ ، وينظر الدر المصون ٩/ ٤٨٣ .

(٦) ذكرها أبو حيان في البحر ٧/ ٤٦٦ .

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣-٣٤ . وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٠ .

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ أي: في خُسران وضلال، ومنه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[1] [المسد: ١] وقوله: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١] وفي موضع ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣] فهدّ الله صرحه، وغرَّقه هو وقومه على ما تقدّم[2].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ﴾ هذا من تمام ما قاله مؤمنُ آل فرعون؛ أي: اقتدوا بي في الدين، ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ أي: طريقَ الهُدى، وهو الجنة. وقيل: من قول موسى[3].

وقرأ معاذ بن جبل: «الرَّشَّادِ» بتشديد الشين[4]، وهو لحنٌ عند أكثر أهل العربية؛ لأنه إنما يقال: أرشد يُرشد، ولا يكون فَعَّال من أفعل، إنما يكون من الثلاثي، فإن أردتَ التكثيرَ من الرُّباعي قلت: مِفْعال. قال النحاس[5]: يجوز أن يكون رَشَّاد بمعنى

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٠ .

(٢) ١٣/ ٢٨٨ وما بعدها.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٠ ، وزاد المسير ٧/ ٢٢٤ بنحوه.

(٤) القراءات الشاذة ص١٣٢ ، والمحتسب ٢/ ٢٤١ .

(٥) في معاني القرآن ٢/ ٢١٨-٢١٩ وما قبله منه.

يُرشد لا على أنه مشتقٌّ منه، ولكن كما يقال: لَأْال من اللؤلؤ. فهو بمعناه، وليس جارياً عليه، ويجوز أن يكون رشَّاد من رَشَدَ يَرشُدُ، أي: صاحب رشاد؛ كما قال:

كـلِـيـنِـي لِـهَـمٍّ يـا أُمَـيْـمَـةَ نـاصِـبِ[1]

الزمخشري[2]: وقُرئ: «الرَّشَّادِ» فَعَّال من رَشِد[3] ـ بالكسر ـ كعَلَّام، أو من رَشَد بالفتح، كعبَّاد. وقيل: من أرشد كجبَّار من أجبر، وليس بذاك؛ لأن فعَّالاً من أفعل لم يجئ إلا في عدّة أحرف: نحو درَّاك وسأَّرٍ وقصَّار وجَبَّار. ولا يصحُّ القياس على هذا القليل. ويجوز أن يكون نسبته إلى الرشد، كعَوَّاج وبتّات[4] غير منظور فيه إلى فعل.

ووقع في المصحف «اتَّبِعُونِ» بغير ياء، وقرأها يعقوب وابن كثير بالإثبات في الوصل والوقف. وحَذَفَها أبو عمرو ونافع[5] في الوقف، وأثبتوها في الوصل، إلا وَرْشًا حذفها في الحالتين، وكذلك الباقون[6]؛ لأنها وقعت في المصحف بغير ياء، ومَن أثبتها فعلى الأصل.

قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ أي: يُتَمَتَّع بها قليلاً، ثم تنقطع وتَزول. ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ أي: الاستقرار والخُلود. ومُراده بالدار الآخرة الجنة والنار، لأنهما لا يَفنيان. بيَّن ذلك بقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ يعني: الشِّرك ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ وهو العذاب[7]. ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ قال ابن عباس:

---

(١) قائله النابغة الذبياني وهو في ديوانه ص٩ ، وعجزه: وليلٍ أُقاسيهِ بطيء الكواكبِ.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٢٥ .

(٣) في النسخ الخطية: أرشد، والمثبت من (م)، وهو الموافق للكشاف.

(٤) العوَّاج: بائع العاج. والبتَّات: بائع البتّ، وهو الطيلسان من خزّ ونحوه. القاموس المحيط (عوج) و(بتت).

(٥) يعني في رواية قالون.

(٦) السبعة ص٥٧٣ ، والتيسير ص١٨٢ ، والنشر ٢/ ٣٦٦ .

(٧) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٢٩-٣٣٠ بنحوه.

يعني لا إله إلا الله[١] .﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ مُصَدِّق بقلبه لله وللأنبياء.

﴿فأُولئكَ يُدْخَلُونَ الجنَّةَ﴾ بضمِّ الياء على ما لم يُسَمَّ فاعلُه. وهي قراءةُ ابن كثير وابن مُحَيْصن وأبي عمرو ويعقوب وأبي بكر عن عاصم[٢]، يدلُّ عليه ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الباقون: «يَدْخُلُونَ» بفتح الياء.

قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ أي: إلى طريق الإيمان المُوصل إلى الجنان ﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بيَّن أن ما قال فرعون من قوله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ سبيل الغيّ عاقبته النار، وكانوا دَعَوْه إلى اتّباعه؛ ولهذا قال: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ وهو فرعون ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾.

﴿لَا جَرَمَ﴾ تقدَّم الكلامُ فيه[٣]، ومعناه: حقًّا ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ «ما» بمعنى الذي[٤] ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ قال الزجاج[٥]: ليس له استجابةُ دعوة تنفع؛ وقال غيره: ليس له دعوةٌ تُوجب له الألوهية ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾.

وقال الكلبي: ليس له شفاعةٌ في الدنيا ولا في الآخرة[٦]. وكان فرعون أولًا يدعو الناس إلى عبادة الأصنام، ثم دعاهم إلى عبادة البقر، فكانت تُعبَدُ ما كانت شابَّة، فإذا هَرمت أمر بِذَبْحها، ثم دعا بأُخرى لِتُعبد، ثم لما طال عليه الزمان قال: أنا ربُّكم الأعلى.

﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ قال قتادة وابن سيرين: يعني المشركين.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٢٤ دون نسبة.

(٢) وهي قراءة أبي جعفر من العشرة. السبعة ص٥٧١ ، والتيسير ص٩٧ ، والنشر ٢/ ٢٥٢ .

(٣) ١١/ ٩٤ .

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦١ .

(٥) في معاني القرآن ٤/ ٣٧٦ . ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٤ ، وما بعده منه.

(٦) النكت والعيون ٥/ ١٥٨ .

وقال مجاهد والشعبي: هم السفهاءُ السفَّاكون للدِّماء بغير حقِّها[١]. وقال عكرمة: الجبَّارون والمُتكبِّرون. وقيل: هم الذين تعدَّوا حُدودَ الله. وهذا جامعٌ لما ذُكر.

و«أنَّ» في المواضع في موضع نصب بإسقاط حرف الجر. وعلى ما حكاه سيبويه عن الخليل من أن «لَا جَرَمَ» ردٌّ لكلام يجوز أن يكون موضعُ «أنَّ» رفعاً على تقدير: وجب أن ما تدعونني إليه، كأنه قال: وجب بُطلانُ ما تدعونني إليه، والمَردُّ إلى الله، وكون المسرفين هم أصحاب النار[٢].

قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ تهديد ووعيد، و«ما» يجوز أن تكون بمعنى الذي، أي: الذي أقولُه لكم. ويجوز أن تكون مصدريةً، أي: فستذكرون قولي لكم إذا حلَّ بكم العذاب. ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أتوكَّل عليه وأُسَلِّم أمري إليه. وقيل: هذا يدلُّ على أنهم أرادوا قَتْلَه. وقال مقاتل: هربَ هذا المؤمنُ إلى الجبل فلم يقدروا عليه. وقد قيل: القائل موسى[٣]. والأظهرُ أنه مؤمن آل فرعون، وهو قول ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ أي: من إلحاق أنواعِ العذاب به، فطلبوه فما وجدوه؛ لأنه فَوَّضَ أمرَه إلى الله. قال قتادة: كان قبطيًّا فنجَّاه الله مع بني إسرائيل[٤]. فالهاء على هذا لمؤمن آل فرعون. وقيل: إنها لموسى على ما تقدَّم من الخِلاف.

---

(١) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٥/ ١٥٨ دون ذكر ابن سيرين، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٠/ ٣٣٤.

(٢) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ٥٦١، وينظر ما سلف ١١/ ٩٤.

(٣) الكلام بنحوه في النكت والعيون ٥/ ١٥٩ دون ذكر مقاتل.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٩٩.

﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ قال الكسائي: يقال: حاق يَحِيقُ حَيْقاً وحُيُوقاً؛ إذا نزل ولزم[١]. ثم بيَّن العذاب فقال: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ وفيه ستةُ أوجه: يكون رفعاً على البدل من «سُوءُ». ويجوز أن يكون بمعنى هو النار. ويجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء. وقال الفراء[٢]: يكون مرفوعاً بالعائد على معنى: النار عليها يُعرَضون، فهذه أربعةُ أوجه في الرفع، وأجاز الفراء النصب؛ لأن بعدها عائداً وقبلَها ما يتَّصل به، وأجاز الأخفشُ[٣] الخفضَ على البدل من «العَذَابِ». والجمهور على أن هذا العَرْضَ في البرزخ.

واحتجَّ بعضُ أهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ ما دامت الدنيا[٤]. كذلك قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب كلهم قال: هذه الآية تدلُّ على عذاب القبر في الدنيا، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

وفي الحديث عن ابن مسعود: إن أرواحَ آل فرعون ومَن كان مِثْلَهم من الكفار تُعرَض على النار بالغَداة والعَشِيّ، فيقال: هذه دارُكم[٥]. وعنه أيضاً: إنّ أرواحَهم في أجواف طير سُود تغدو على جهنم وتروح كلَّ يوم مرتين، فذلك عَرضُها[٦].

وروى شعبة عن يعلى بن عطاء قال: سمعتُ ميمون بن مَيْسرة[٧] يقول: كان أبو هريرة إذا أصبح ينادي: أصبحنا والحمدُ لله، وعُرِضَ آلُ فرعون على النار. فإذا أمسى

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٩، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٤-٣٥ وما قبله منه.

(٣) في معاني القرآن ٢/ ٦٧٧.

(٤) تفسير الرازي ٢٧/ ٧٣ بنحوه.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٥، وينظر التعليق التالي.

(٦) هذا الأثر والذي قبله واحد، أخرجه ابن أبي حاتم فيما ذكره ابن كثير في تفسيره ٧/ ١٤٨.

(٧) غيَّرها محققوا (م) إلى مهران، وهو خطأ.

نادى: أمسينا والحمد لله، وعُرِض آلُ فرعون على النار؛ فلا يسمع أبا هريرة أحدٌ إلا تعوَّذ بالله من النار[١].

وفي حديث صخر بن جُوَيْرية عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الكافر إذا مات عُرِضَ على النار بالغَداة والعَشِيّ، ثم تلا: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ وإن المؤمنَ إذا مات عُرِضَ روحه على الجنة بالغَدَاة والعَشِيّ»[٢].

وخرَّج البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ أحدَكم إذا مات عُرِضَ عليه مَقْعده بالغَداة والعشيّ، إنْ كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهلِ النار فمن أهلِ النار فيقال: هذا مَقْعدُك حتى يبعثكَ الله إليه يومَ القيامة»[٣].

قال الفراء[٤]: في الغَداة والعشِيّ بمقادير ذلك في الدنيا. وهو قول مجاهد. قال: «غُدُوًّا وَعَشِيًّا» قال: من أيام الدنيا[٥].

وقال حماد بن محمد الفزاريّ: قال رجلٌ للأوزاعي، رأينا طيوراً تخرجُ من البحر تأخذُ ناحية الغرب، بيضاً صِغاراً، فَوْجاً فَوْجاً لا يعلم عددَها إلا الله، فإذا كان العشاء رَجَعتْ مثلَها سوداً. قال: تلك الطيورُ في حواصلها أرواحُ آل فرعون، يُعرضون على النار غُدوًّا وعَشِيًّا، فترجع إلى أوكارها وقد احترقت رِياشُها وصارت سوداً، فينبتُ عليها من الليل رياشها بيضاً وتتناثر السود، ثم تغدو فَتُعرض على النار غُدوًّا وعشيًّا، ثم ترجع إلى وَكْرها، فذلك دَأْبها ما كانت في الدنيا، فإذا كان يومُ القيامة قال الله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ وهو الهاوية. قال

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٠٠).

(٢) ذكره بهذا الإسناد وهذا اللفظ النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٥ ، وعنه نقله المصنف، ولم نقف عليه بهذا السياق عند غيره، وينظر الحديث التالي.

(٣) صحيح البخاري (١٣٧٩)، وصحيح مسلم (٢٨٦٦)، وأخرجه أحمد (٥٩٢٦).

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٩ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٥ .

(٥) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٢٩ ، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٥٦٦ ، وأخرجه الطبري ٢٠/ ٣٣٩ ولفظه: يعني: ما كانت الدنيا.

الأوزاعي: فبلغنا أنهم ألفا ألفٍ وستُّ مئة ألف[١].

و«غُدُوًّا» مصدر جُعل ظرفاً على السعة. وَ«عَشِيًّا» عطف عليه وتم الكلام. ثم تبتدئ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ على أن تنصبَ يوماً بقوله: «أَدْخِلوا» ويجوز أن يكون منصوباً بـ«يُعْرَضُونَ» على معنى «يُعْرَضُونَ» على النار في الدنيا «ويومَ تَقُومُ الساعةُ» فلا يُوقف عليه[٢].

وقرأ نافع وأهل المدينة وحمزة والكسائي: «أَدْخِلُوا» بقطع الألف وكسر الخاء من أدخل[٣]، وهي اختيار أبي عُبيد؛ أي: يأمر الله الملائكةَ أن يُدخلوهم، ودليلُه «النَّار يُعْرَضُونَ عليها». الباقون: «ادخُلُوا» بوصل الألف وضمّ الخاء من دخل، أي: يقال لهم: «ادْخُلُوا» يا «آل فرعونَ أَشَدَّ العذابِ» وهو اختيار أبي حاتم. قال: في القراءة الأولى: «آل» مفعولٌ أول و«أَشَدَّ» مفعولٌ ثانٍ بحذف الجر، وفي القراءة الثانية منصوب؛ لأنه نداء مضاف[٤].

وآل فرعون: مَنْ كان على دينه وعلى مذهبه، وإذا كان من كان على دينه ومذهبه في أشدّ العذاب كان هو أقربَ إلى ذلك. وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ: «إنَّ العبدَ يُولَدُ مؤمناً، ويحيا مؤمناً، ويموت مؤمناً؛ منهم يحيى بن زكريا عليهما السلام، وُلِدَ مؤمناً، وحيي مؤمناً، ومات مؤمناً، وإنَّ العبدَ يُولَدُ كافراً، ويحيا كافراً، ويموت كافراً؛ منهم فرعون، وُلِدَ كافراً، وحيي كافراً، ومات كافراً» ذكره النحاس[٥].

وجعل الفرَّاء في الآية تقديماً وتأخيراً مجازه: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ فجعل العرضَ في الآخرة، وهو خِلافُ

(١) أخرجه الطبري ٢٠/ ٣٣٨ . وفيه: إنهم ست مئة ألف مقاتل.

(٢) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٥ ، وينظر الدر المصون ٩/ ٤٨٥ .

(٣) وقرأ بها عاصم في رواية حفص، السبعة ص٥٧٢ ، والتيسير ص١٩٢ ، والنشر ٢/ ٣٦٥ .

(٤) الحجة للفارسي ٦/ ١١٣ بنحوه.

(٥) في إعراب القرآن ٤/ ٣٥ ، وما قبله منه. والحديث أخرجه ابن مردويه من حديث ابن عباس ﷺ كما في الدر المنثور ٦/ ٢٢٧ وليس فيه ذكر يحيى عليه السلام ولا فرعون.

ما ذهب إليه الجمهور من انتظام الكلام على سياقه على ما تقدَّم. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: يختصمون فيها ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ عن الانقياد لِلأَنْبِيَاءِ: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ فيما دعوتمونا إليه من الشِّرك في الدنيا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ أي: مُتَحَمِّلون ﴿عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: جزءاً من العذاب. والتَّبَعُ يكون واحداً، ويكون جمعاً في قول البصريين، واحدُه تابع. وقال أهلُ الكوفة: هو جمعٌ لا واحدَ له كالمصدر، فلذلك لم يُجمع، ولو جُمع لقيل: أتباع[1].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ أي: في جهنم. قال الأخفش[2]: «كُلٌّ» مرفوعٌ بالابتداء. وأجاز الكسائي والفراء[3] «إنَّا كُلًّا فيها» بالنصب على النعت والتأكيد للمضمر في «إنَّا»، وكذلك قرأ ابن السَّمَيْفَع وعيسى بن عمر[4]. والكوفيون يُسمُّون التأكيد نعتًا. ومنع ذلك سيبويه؛ قال: لأن «كُلًّا» لا تُنعت ولا يُنعت بها. ولا يجوز البدلُ فيه؛ لأن المُخبر عن نفسه لا يُبدل منه غيره، وقال معناه المبرد، قال: لا

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٠٠ ، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٦ .

(٢) في معاني القرآن ١/ ٦٧٨ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٦ ، وما بعده منه.

(٣) في معاني القرآن ٣/ ١٠ .

(٤) ذكرها أبو حيان في البحر ٧/ ٤٦٩ .

يجوز أن يُبدل من المُضمر هنا؛ لأنه مُخاطَب، ولا يُبدل من المُخاطَب ولا من المُخاطِب؛ لأنهما لا يُشكلان فَيُبدَل منهما؛ هذا نصُّ كلامه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ أي: لا يُؤاخِذُ أحداً بذنب غيره؛ فكلٌّ منّا كافر[١].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾ من الأُمم الكافرة. ومن العرب من يقول: اللذون على أنه جمعٌ مُسلَّم مُعرب، ومن قال: «الذين» في الرفع بَنَاه كما كان في الواحد مَبْنيًّا. وقال الأخفش: ضُمَّت النون إلى الذي فأشبه خمسةَ عشرَ، فَبُنِيَ على الفتح. ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ خزنة جمع خازن، ويقال: خُزَّان وخُزَّن. ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ «يُخَفِّفْ» جواب مجزوم، وإن كان بالفاء كان منصوباً، إلا أن الأكثرَ في كلام العرب في جواب الأمر وما أشبهه أن يكون بغير فاء، وعلى هذا جاء القرآن بأفصح اللُّغات كما قال:

قِفا نَبْكِ مِن ذِكْرى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ[٢]

قال محمد بن كعب القُرَظي: بلغني ـ أو ذُكِرَ لي ـ أن أهلَ النار استغاثوا بالخَزَنةِ؛ فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ فسألوا يوماً واحداً يُخفَّف عنهم فيه العذابُ فَرُدَّت عليهم ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ الخبر بطوله[٣].

وفي الحديث عن أبي الدرداء ـ خرجه الترمذي وغيره ـ قال: يُلقى على أهل النار الجوع حتى يَعْدِلَ ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون منه فَيُغاثون بالضَّريع لا يُسمن ولا يُغني من جوع، فيأكلونه لا يُغني عنهم شيئاً، فيستغيثون فَيُغاثون بطعام ذي غُصَّة،

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٦ بنحوه.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٦-٣٧، والبيت لامرئ القيس، وهو من معلقته، وسلف ١٠/ ٣٦٤.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٣/ ٣٠.

فَيغَصُّون به، فيذكرون أنهم كانوا في الدنيا يُجيزون الغَصَص بالماء، فيستغيثون بالشَّراب فَيُرفَعُ لهم الحميم بالكلاليب، فإذا دنا من وجوههم شواها، فإذا وقع في بطونهم قطَّع أمعاءهم وما في بطونهم، فيستغيثون بالملائكة يقولون: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ فَيُجيبونهم ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[1] أي: خسار وتَبار.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾، ويجوز حذفُ الضَّمة لِثقلِها، فيقال: «رُسْلنَا» والمراد موسى عليه السلام. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في موضع نصب عطف على الرُّسل[2]، والمراد المؤمن الذي وعظ. وقيل: هو عامٌّ في الرُّسل والمؤمنين. ونَصْرهم بإعلاء الحُجج وإفلاحها في قول أبي العالية. وقيل: بالانتقام من أعدائهم. قال السدي: ما قَتَل قومٌ قطُّ نبيًّا أو قوماً من دُعاة الحقِّ من المؤمنين إلا بعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ من ينتقم لهم، فصاروا منصورين فيها وإن قُتِلوا[3].

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ يعني: يومَ القيامة. قال زيد بن أسلم: «الأشْهادُ» أربعة: الملائكة والنبيون والمؤمنون والأجساد[4]. وقال مجاهد والسدي: «الأشْهادُ» الملائكة تشهد للأنبياء بالإبلاغ، وعلى الأُمم بالتكذيب. وقال قتادة:

---

(١) نقله المصنف بهذا اللفظ من إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٧، وأخرجه الترمذي (٢٥٨٦) بنحوه وقال: إنما نعرف هذا الحديث..... عن أبي الدرداء قوله، وليس بمرفوع.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٧.

(٣) النكت والعيون ٥/ ١٦٠.

(٤) في النسخ الخطية: الأشهاد، والمثبت من (م).

الملائكةُ والأنبياء[١].

ثم قيل: «الأَشْهَادُ» جمع شهيد مثل شريف وأشراف[٢]. وقال الزجاج[٣]: «الأَشْهَادُ» جمع شاهد، مثل صاحب وأصحاب. النحاس[٤]: ليس باب فاعل أن يُجمع على أفعال، ولا يُقاس عليه، ولكن ما جاء منه مسموعاً أُدِّيَ كما سُمع، وكان على حذف الزائد. وأجاز الأخفش والفراء: «وَيَوْمَ تَقُومُ الأَشْهَادُ» بالتاء على تأنيث الجماعة[٥].

وفي الحديث عن أبي الدرداء ـ وبعض المُحدِّثين يقول عن النبي ﷺ ـ قال: «من ردَّ عن عِرْض أخيه المسلم كان حقًّا على الله عزَّ وجلَّ أن يَرُدَّ عنه نارَ جهنم، ثم تلا: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾»[٦]. وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «مَن حمى مؤمناً مِن منافق يغتابُه بعثَ اللهُ عزّ وجلّ يومَ القيامة مَلَكاً يحميه من النار. ومَن ذَكَر مسلماً بشيء يَشِينه به وَقَفَهُ اللهُ عزّ وجلّ على جسرٍ من جهنم حتى يخرجَ مما قال»[٧].

﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» الأول[٨]. ﴿لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ قرأ نافع والكوفيون: «يَنْفَعُ» بالياء. الباقون بالتاء[٩]. ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ «اللَّعنةُ»

---

(١) النكت والعيون ٥/ ١٦٠-١٦١ ، وقولا مجاهد وقتادة أخرجهما الطبري ٢٠/ ٣٤٦ .

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٤ .

(٣) في معاني القرآن ٤/ ٣٧٦ .

(٤) في إعراب القرآن ٤/ ٣٨ . وقول الزجاج الذي قبله عنه.

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٩ ، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٠ ، و«تقوم» بالتاء؛ قرأ بها ابن هرمز وإسماعيل، كما في البحر المحيط ٧/ ٤٧٠ .

(٦) أخرجه أحمد (٢٧٥٣٦) مرفوعاً، وأشار إلى الموقوف أبو نعيم في الحلية ٧/ ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٧) أخرجه أحمد (١٥٦٤٩)، وأبو داود (٤٨٨٣) من حديث معاذ بن أنس الجهني ﷺ، وفي إسناده إسماعيل بن يحيى المعافري، قال الذهبي في الميزان ١/ ٢٥٤ : فيه جهالة، وذكر هذا الحديث من غرائبه. وهذا الحديث والذي قبله نقلهما المصنف من إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٨ .

(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٤ .

(٩) السبعة ص٥٧٣ ، والتيسير ص١٩٢ .

البُعد من رحمة الله، و«سُوءُ الدَّارِ» جهنم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ هذا دخل في نُصرة الرُّسل في الدنيا والآخرة، أي: آتيناه التوراة والنبوة. وسُمِّيت التوراة هدًى بما فيها من الهُدى والنور؛ وفي التنزيل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التوراة جعلناها لهم ميراثاً. ﴿هُدًى﴾ بدل من «الكتاب»، ويجوز بمعنى هو هُدًى؛ يعني ذلك الكتاب. ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: موعظة لأصحاب العقول.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: فاصبرْ يا محمد على أذى المشركين. كما صبر مَن قبلك ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بنصرك وإظهارك، كما نصرتُ موسى وبني إسرائيل. وقال الكلبي: نُسِخَ هذا بآية السيف[1].

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ قيل: لذنب أُمَّتك، حُذف المُضاف وأُقيم المضاف إليه مُقامه. وقيل: لذنب نَفْسِكَ على من يُجَوِّز الصغائر على الأنبياء[2]. ومَن قال: لا تجوز قال: هذا تعبُّد للنبي عليه الصلاة والسلام بالدعاء؛ كما قال تعالى: ﴿وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا﴾ [آل عمران: ١٩٤] والفائدة زيادةُ الدرجات، وأن يصيرَ الدعاءُ سنةً لمن

---

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٤، والبغوي في تفسيره ٤/ ١٠١.

(٢) تفسير الرزاي ٢٧/ ٧٧-٧٨ بنحوه.

بعده[١]. وقيل: فاستغفر الله من ذنب صَدَرَ منك قبلَ النبوة.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ يعني صلاة الفجر وصلاةَ العصر؛ قاله الحسن وقتادة. وقيل: هي صلاةٌ كانت بمكة قبل أن تُفرضَ الصلواتُ الخمس؛ ركعتان غُدْوة وركعتان عشيّة. عن الحسن أيضاً، ذكره الماوردي[٢]. فيكون هذا مما نُسخ والله أعلم.

وقوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ بالشُّكر له والثناء عليه. وقيل: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: استدم التسبيحَ في الصلاة وخارجاً منها لِتشتغلَ بذلك عن استعجال النصر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ يُخاصِمون ﴿فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ أي: حُجَّة ﴿أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ قال الزجاج[٣]: المعنى: ما في صدورهم إلا كِبْرٌ ما هم ببالغي إرادتهم فيه. قدَّره على الحذف. وقال غيره: المعنى: ما هم ببالغي الكِبْر، على غير حذف؛ لأن هؤلاء قومٌ رأَوْا أنهم إن اتَّبعوا النبيَّ ﷺ قلَّ ارتفاعهم، ونقصتْ أحوالُهم، وأنهم يرتفعون إذا لم يكونوا تَبَعاً، فأعْلم اللهُ عزَّ وجلَّ أنهم لا يَبلُغون الارتفاع الذي أملوه بالتكذيب[٤]. والمراد المشركون. وقيل: اليهود[٥]؛ فالآيةُ مدنيةٌ على هذا كما تقدَّم أولَ السورة.

والمعنى: إن تَعَظَّموا عن اتّباعِ محمد ﷺ، وقالوا: إن الدجَّال سيخرج عن قريب فيردّ المُلك إلينا، وتسير معه الأنهار، وهو آيةٌ من آيات الله، فنزلت الآية فيهم. قاله أبو العالية وغيره[٦]. وقد تقدَّم في «آل عمران» أنه يخرج ويطأُ البلادَ كلَّها إلا مكةَ

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٠١.

(٢) في النكت والعيون ٥/ ١٦١، وفيه قول قتادة السالف، وقول الحسن الأول ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٥.

(٣) في معاني القرآن ٤/ ٣٧٧، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٩.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٩.

(٥) النكت والعيون ٥/ ١٦١.

(٦) النكت والعيون ٥/ ١٦١، وتفسير البغوي ٤/ ١٠١ بنحوه.

والمدينة[١]. وقد ذكرنا خبره مستوفى في كتاب «التذكرة»[٢] وهو يهودي، واسمه صاف، ويُكْنَى أبا يوسف[٣].

وقيل: كل مَن كَفَرَ بالنبيِّ ﷺ. وهذا حسن؛ لأنه يَعُمُّ. وقال مجاهد: معناه: في صدورهم عظمةٌ ما هم ببالغيها، والمعنى واحد[٤]. وقيل: المراد بالكِبْر الأمرُ الكبير. أي: يطلبون النبوة أو أمراً كبيراً يَصِلُون به إليك من القتل ونحوه، ولا يبلغون ذلك. أو يتمنَّون موتَك قبل أن يتمَّ دينُك، ولا يبلغونه.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ قيل: من فتنة الدجال على قول من قال: إن الآية نزلت في اليهود. وعلى القول الآخر من شرِّ الكفار. وقيل: من مثل ما ابتُلوا به من الكفر والكِبْر. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ «هو» يكون فاصلاً، ويكون مبتدأ، وما بعده خبرُه، والجملة خبرُ إنَّ على ما تقدَّم.

قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ مبتدأ وخبره. قال أبو العالية: أي: أعظم من خَلْق الدجال حين عظَّمَتْه اليهود. وقال يحيى بن سلام: هو احتجاجٌ على مُنكري البعث؛ أي: هما أكبرُ من إعادة خَلْق الناس، فَلِمَ اعتقدوا عجزي عنها[٥]؟! ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي: المؤمن والكافر والضالُّ والمهتدي. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: ولا يستوي العاملُ للصالحات

---

(١) ٥/١٣٦ وما بعدها.

(٢) ص٦٥٨ وما بعدها.

(٣) صاف هو اسم ابن صياد. قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم ١٨/٤٦ : قال العلماء: وقصته مُشكلة، وأمره مُشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره، ولا شك في أنه دجّال من الدجاجلة. اهـ. وحديث ابن صياد أخرجه أحمد (٦٣٦٣)، والبخاري (١٣٥٥)، ومسلم (٢٩٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) تفسير مجاهد ٢/٥٦٦ ، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/١٦١ .

(٥) النكت والعيون ٥/١٦٢ .

﴿وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ﴾ الذي يعمل السيئات. ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ قراءةُ العامة بياء على الخبر، واختاره أبو عُبيد وأبو حاتم؛ لأجل ما قبله من الخبر وما بعده. وقرأ الكوفيون بالتاء على الخطاب[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ هذه لامُ التأكيد دخلت في خبر إنَّ، وسبيلُها أن تكون في أوّل الكلام؛ لأنها توكيدُ الجملة إلا أنها تُزَحلَق عن موضعها؛ كذا قال سيبويه. تقول: إنَّ عَمراً لخارجٌ؛ وإنما أُخِّرتْ عن موضعها لئلا يُجمع بينها وبين إنَّ؛ لأنهما يُؤدّيان عن معنى واحد، وكذا لا يُجمع بين إنَّ وأنَّ عند البصريين. وأجاز هشام: إنَّ أنَّ زيداً منطلقٌ حقّ؛ فإن حذفت حقًّا لم يَجُزْ عند أحدٍ من النحويين عَلِمتُه؛ قاله النحاس[2].

﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا شكَّ ولا مِرْيَة. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يُصدِّقون بها، وعندها يبين فرق ما بين الطائع والعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الآية؛ روى النُّعمان بن بَشِير

(١) السبعة ص٥٧٢، والتيسير ص١٩٢.

(٢) في إعراب القرآن ٤/ ٣٩-٤٠.

قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «الدُّعاءُ هو العبادة» ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح[1]. فدلَّ هذا على أن الدعاءَ هو العبادة. وكذا قال أكثرُ المفسرين؛ وأن المعنى: وَحِّدوني واعبُدوني أتقبَّلْ عبادتكم وأغفِر لكم. وقيل: هو الذِّكر والدعاء والسؤال. قال أنس: قال النبيُّ ﷺ: «لِيسألْ أحدُكم ربَّه حاجتَه كلَّها حتى يسألَه شِسْعَ نَعْله إذا انقطع»[2]. ويقال: الدُّعاء: هو تَرْكُ الذُّنوب[3]. وحكى قتادة أن كعب الأحبار قال: أُعْطِيَتْ هذه الأمةَ ثلاثاً لم تُعْطَهن أُمةٌ قبلَهم إلا نبيّ: كان إذا أُرسل نبيٌّ قيل له: أنت شاهدٌ على أمتك، وقال تعالى لهذه الأمة: ﴿لِتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣]. وكان يقال للنبيّ: ليس عليك في الدين من حرج، وقال لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨] وكان يقال للنبيّ: ادعُني أستجِبْ لك، وقال لهذه الأمة: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[4].

قلت: مثل هذا لا يقال من جهة الرأي. وقد جاء مرفوعاً؛ رواه ليثٌ، عن شَهْر ابن حَوْشَب، عن عُبادة بن الصامت، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أُعْطِيَتْ أمتي ثلاثاً لم تُعطَ إلا للأنبياء: كان اللهُ تعالى إذا بعثَ النبيَّ قال: ادعُني أستجِبْ لك، وقال لهذه الأمة: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. وكان اللهُ إذا بعثَ النبيَّ قال: ما جعلَ عليك في الدين من حرج، وقال لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨] وكان اللهُ إذا بعثَ النبيَّ جعله شهيداً على قومه، وجعل هذه الأمةَ شهداءَ

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٧٢)، وأخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، وسلف ٣/ ١٧٨ .

(٢) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأشراف ١/ ١٠٧ ، وابن حبان (٨٦٦). وفي إسناده قَطَن بن نُسَير، قال الذهبي في الميزان ٣/ ٣٩١ : كان أبو حاتم يحمل عليه، وقال ابن عدي: كان يسرق الحديث... رواه القواريري عن جعفر فأرسله، فقيل للقواريري: إن شيخنا يوصله. فقال القواريري: باطل. يعني وَصْلَه. ا هـ.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ٣/ ٤٣٣ عن الثوري.

(٤) النكت والعيون ٥/ ١٦٢-١٦٣ .

على الناس» ذكره الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول»[١].

وكان خالد الربعي يقول: عَجِبتُ[٢] لهذه الأمة! قيل لها: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أمرهم بالدُّعاء ووَعَدَهم الاستجابة، وليس بينهما شرط. قال له قائل: مثل ماذا؟ قال: مثل قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥] فهاهنا شرطٌ، وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢] فليس فيه شرطُ العمل؛ ومثل قوله: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤] فهاهنا شرط، وقوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ليس فيه شرط، وكانت الأمة تَفزَعُ إلى أنبيائها في حوائجها حتى تسأل الأنبياءُ لهم ذلك[٣].

وقد قيل: إن هذا من باب المُطلق والمُقيد على ما تقدَّم في «البقرة» بيانه[٤]. أي: «أستَجِبْ لكم» إنْ شئت؛ كقوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾. وقد تكون الاستجابةُ في غير عين المطلوب على حديث أبي سعيد الخدري على ما تقدَّم في «البقرة» بيانُه فتأمَّله هناك[٥].

وقرأ ابن كثير وابن مُحيصن ورُوَيس عن يعقوب، وعَباس[٦] عن أبي عمرو، وأبو بكر والمُفضَّل عن عاصم: «سيُدخَلون» بضمِّ الياء وفتح الخاء على ما لم يُسَمَّ فاعله[٧]. الباقون: ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضمِّ الخاء. ومعنى ﴿دَاخِرِينَ﴾ صاغرين

---

(١) ص٣٩١، وليث بن أبي سُليم وشهر بن حوشب ضعيفان كما في تقريب التهذيب، وسلف الحديث ٢/ ٤٣٦.

(٢) في (م): عجيب.

(٣) نوادر الأصول ص٣٩١، وسلف ٣/ ١٧٨-١٧٩.

(٤) ٣/ ١٧٩.

(٥) ٣/ ١٨٠، وينظر متن الحديث وتخريجه ثمة.

(٦) في (م): عيّاش، وهو خطأ، وعباس: هو ابن الفضل بن عمرو الواقفي الأنصاري، قاضي الموصل، من أكابر أصحاب أبي عمرو في القراءة. غاية النهاية ٢/ ٣٥٣.

(٧) وقرأ بها أبو جعفر من العشرة كما في النشر ٢/ ٢٥٢، وينظر السبعة ص٥٧٢، والتيسير ص١٩٢.

أَذِلَّاء، وقد تقدَّم[١].

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ «جَعَلَ» هنا بمعنى خَلَقَ؛ والعربُ تُفرِّق بين جَعَلَ إذا كانت بمعنى خَلَقَ، وبين جعل إذا لم تكن بمعنى خَلَقَ؛ فإذا كانت بمعنى خَلَقَ فلا تُعدِّيها إلا إلى مفعول واحد، وإذا لم تكن بمعنى خلق عدَّتها إلى مفعولين؛ نحو قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣][٢] وقد مضى هذا المعنى في غير موضع[٣].

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: مُضيئاً، لِتُبصروا فيه حوائجَكم، وتتصرَّفوا في طلب معائشكم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فَضْلَه وإنعامَه عليهم.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ بيَّن الدلالةَ على وحدانيته وقُدرته. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف تنقلبون وتنصرفون عن الإيمان بعد أن تبيَّنت لكم دلائِلُه كذلك؛ أي: كما صُرِفتم عن الحقّ مع قيام الدليل عليه فـ ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ﴾ يُصْرَفُ عن الحقّ ﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ زاد في تأكيد التعريف والدليل؛ أي: جعل لكم الأرضَ مستقرًّا لكم في حياتكم وبعد الموت. ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ تقدَّم[٤]. ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي: خَلَقَكم في أحسن صورة. وقرأ أبو رَزين والأشهبُ العُقَيلي: «صِوَرَكُمْ» بكسر الصاد[٥].

قال الجوهري[٦]: والصُّوَر ـ بكسر الصاد ـ لغة في الصُّوَر، جمع صورة، ويُنشد

---

(١) ١٢/ ٣٣٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٠.

(٣) ٨/ ٣١٧.

(٤) ١/ ٣٤٤-٣٤٥.

(٥) القراءات الشاذة ص١٣٢، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٠.

(٦) في الصحاح (صور).

هذا البيت على هذه اللغة يصفُ الجواري:

أَشْبَهْنَ مِن بَقَرِ الخَلْصَاءِ أعيُنَها وهُنَّ أحْسَنُ مِن صِيرانِها صِورا[1]

[والصِّيران جمع صِوار، وهو القطيع من البقر، والصِّوار أيضاً وِعاءُ المِسْك][2] وقد جمعهما الشاعر بقوله:

إذا لَاحَ الصِّوارُ ذكَرتُ لَيْلَى وأَذْكُرُها إذا نَفَح الصِّوَارُ[3]

والصِّيارُ لغة فيه.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تقدَّم. ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ أي: الباقي الذي لا يموت ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ﴾ أي: الطاعة والعبادة. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الفراء: هو خبرٌ، وفيه إضمارُ أمر، أي: ادعوه واحمَدُوه. وقد مضى هذا كلُّه مستوفى في «البقرة» وغيرها[4]. وقال ابن عباس: من قال: لا إله إلَّا الله، فليقل: الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين[5].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ﴾ أي: قل يا محمد: نهاني الله الذي هو الحيُّ القيوم، ولا إلهَ غيره ﴿أَنْ أَعْبُدَ﴾ غيره. ﴿لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى﴾ أي: دلائلُ توحيده ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ﴾ أذِلَّ وأخضعَ ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وكانوا دَعَوْه إلى دين آبائه،

(١) قائله أبو ثروان كما في إصلاح المنطق ص١٥٠ . والخَلْصاء: ماء بالبادية. اللسان (خلص).

(٢) ما بين حاصرتين من الصحاح.

(٣) قائله بشار بن برد، وهو في ديوانه ٢/ ٣٣١ .

(٤) ١/ ٢٠٢ في سورة الفاتحة.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ١٠٤ ، وفيه قول الفراء، وقول ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري ٢٠/ ٣٥٧ .

فَأُمِرَ أن يقولَ هذا.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أي: أطفالاً. وقد تقدَّم هذا[١]. ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ وهي حالة اجتماع القوّة وتمام العقل. وقد مضَى في «الأنعام» بيانه[٢].

﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ بضم الشين قراءةُ نافع وابن مُحيصن وحفص وهشام ويعقوب وأبو عمرو على الأصل؛ لأنه جمع فَعْل، نحو: قَلْب وقُلُوب، ورأس ورؤوس.

وقرأ الباقون بكسر الشين لمراعاة الياء[٣]، وكلاهما جمع كَثْرة، وفي العدد القليل أشياخ، والأصل أشْيُخ؛ مثل فَلْس وأفْلُس، إلا أن الحركة في الياء ثقيلة[٤]. وقرئ: «شَيْخًا» على التوحيد[٥]؛ كقوله: «طِفْلًا» والمعنى: كلُّ واحد منكم. واقتصر على الواحد لأن الغرضَ بيانُ الجنس. وفي «الصحاح»[٦]: جمع الشّيخ شُيوخ وأشياخ وشِيَخة وشِيخان ومَشْيَخة ومَشَايخ ومَشْيُوخاء، والمرأة شَيخة. قال عَبيد:

كأنَّها شَيْخَةٌ رَقُوبُ[٧]

وقد شاخ الرجلُ يَشِيخ شَيَخًا ـ بالتحريك على أَصْله ـ وشَيْخوخةً، وأصلُ الياء متحركة فسكنت؛ لأنه ليس في الكلام فَعَلول. وشَيَّخ تَشْيِيخًا، أي: شاخ. [وشَيَّخْته] دعوته شيخًا للتبجيل. وتصغير الشيخ شُيَيْخ وشِيَيْخ أيضاً ـ بكسر الشين ـ ولا تقل: شُوَيخ[٨].

---

(١) ١٤/ ٣٢١ وما بعدها.

(٢) ٩/ ١١١ وما بعدها.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وابن كثير، وأبو بكر وابن ذكوان بكسر الشين، والباقون بضمها. السبعة ص١٧٨، والتيسير ص١٩٢، والنشر ٢/ ٢٢٦.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤١.

(٥) ذكرها الزمخشري في الكشاف ٣/ ٤٣٦.

(٦) الصحاح (شيخ).

(٧) ديوان عَبيد بن الأبرص ص٢٩، وصدره: باتَتْ على إرَم عذوباً.

(٨) الصحاح (شيخ) وما بين حاصرتين منه.

النحاس[١]: وإن اضطرَّ شاعرٌ جاز أن يقول: أشْيُخ، مثل: عَيْن وأعْيُن، إلا أنه حَسُنَ في عين؛ لأنها مؤنثة. والشيخُ مَن جاوز أربعين سنة. ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ قال مجاهد: أي: مِن قبل أن يكون شيخاً، أو مِن قبل هذه الأحوال إذا خرج سَقْطاً. ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلاً مُّسَمًّى﴾ قال مجاهد: الموتُ للكل. واللام لامُ العاقبة. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ذلك فتعلموا أن لا إلهَ غيره.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ زاد في التنبيه، أي: هو الذي يقدرُ على الإحياء والإماتة. ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أي: أراد فِعْلَه قال: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. ونصب «فيكون» ابن عامر على جواب الأمر[٢]. وقد مضى في «البقرة» القول فيه[٣].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ ۚ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ قال ابن زيد: هم المشركون بدليل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾. وقال

---

(١) إعراب القرآن ٤/ ٤١.

(٢) السبعة ص١٦٨، والتيسير ص٧٦.

(٣) ١/ ٣٣٩.

أكثرُ المفسرين: نزلت في القَدَرية[١]. قال ابن سيرين: إنْ لم تكن هذه الآيةُ نزلَتْ في القَدَريّة، فلا أدري فيمن نزلت. قال أبو قَبِيل: لا أَحْسِبُ المُكَذِّبين بالقَدَر إلا الذين يُجادلون الذين آمنوا[٢]. وقال عقبة بن عامر: قال النبي ﷺ: «نزلَتْ هذه الآيةُ في القَدَرِيّة» ذكره المهدوي[٣].

قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ أي: عن قريب يعلمون بُطلانَ ما هم فيه إذا دخلوا النار وغُلَّت أيديهم إلى أعناقهم. قال التَّيمي: لو أن غُلًّا من أغلال جهنم وُضِع على جبل لوَهَصه حتى يبلغ الماء الأسود[٤]. ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ بالرفع قراءة العامة عطفاً على الأغلال.

قال أبو حاتم: ﴿يُسْحَبُونَ﴾ مستأنف على هذه القراءة. وقال غيره: هو في موضع نصب على الحال، والتقدير: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ مسحوبين. وقرأ ابن عباس وأبو الجوزاء وعكرمة وابن مسعود: «والسَّلاسِلَ» بالنصب، «يَسْحَبُونَ» بفتح الياء، والتقدير في هذه القراءة: ويَسحبون السلاسلَ[٥]. قال ابن عباس: إذا كانوا يَجْرُّونها فهو أشدُّ عليهم[٦].

وحكي عن بعضهم: «والسلاسِلِ» بالجرّ[٧]، ووجهُه أنه محمولٌ على المعنى؛ لأن المعنى: أعناقهم في الأغلال والسلاسلِ؛ قاله الفرّاء[٨]. وقال الزجاج[٩]: ومن

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٨ .

(٢) أخرجهما الطبري ٢٠/ ٣٦١ . وأبو قَبيل: هو حيّ بن هانئ بن ناضر ـ بمعجمة ـ المعافري، المحدّث، يماني استوطن مصر. مات سنة (١٢٨هـ). السير ٥/ ٢١٤ .

(٣) لم نقف عليه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ١٨٣ . وقوله: وهصة: الوَهْص: الرمي العنيف. القاموس (وهص).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢ . وقراءة ابن عباس وابن مسعود ﷺ في القراءات الشاذة ص١٣٣ .

(٦) زاد المسير ٧/ ٢٣٦ .

(٧) ذكرها السمين الحلبي في الدر المصون ٩/ ٤٩٥ عن ابن عباس وجماعة.

(٨) في معاني القرآن ٣/ ١١ .

(٩) في معاني القرآن ٤/ ٣٧٨ .

قرأ: «والسلاسِلِ يُسحبون» بالخفض فالمعنى عنده: وفي «السلاسِل يُسْحَبُونَ».

قال ابن الأنباري[١]: والخفضُ على هذا المعنى غير جائز؛ لأنك إذا قلت: زيد في الدار، لم يحسن أن تُضمر «في» فتقول: زيد الدارِ، ولكنَّ الخفضَ جائزٌ على معنى: إذ أعناقهم في الأغلال والسلاسل، فتخفض السلاسل على النَّسق على تأويل الأغلال؛ لأن الأغلالَ في تأويل الخفض؛ كما تقول: خاصمَ عبدُ الله زيداً العاقِلَيْن؛ فتنصب العاقِلَيْن، ويجوز رَفْعُهما؛ لأن أحدَهما إذا خاصمَ صاحبَه فقد خاصمَه صاحبُه؛ أنشد الفرّاء:

قد سَالَم الحياتِ مِنه القدَما ... الأُفْعُوانَ والشُّجاعَ الشَّجْعَما[٢]

فنصب الأُفعوان على الإتباع للحيات [لأن الحيَّاتِ] إذا سالمت القدمَ فقد سالمتها القدمُ. فمن نَصَبَ السلاسل أو خَفَضَها لم يَقِفْ عليها[٣].

و«الحميم» المتناهي في الحر. وقيل: الصديد المَغْلي. ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ أي: يُطرحون فيها فيكونون وَقوداً لها؛ قاله مجاهد[٤]. يقال: سَجَرتُ التنور، أي: أوقدته، وسَجَرته: ملأته؛ ومنه ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور:٦] أي: المملوء. فالمعنى على هذا: تُملأ بهم النار، وقال الشاعر يصف وَعْلاً:

إذا شَاءَ طَالَعَ مَسْجُورَةً ... تَرَى حولها النَّبْعَ والسَّاسَما[٥]

---

(١) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٧٣-٨٧٤.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١١، والرجز قيل: هو لمساور العبسي، وقيل: للعجّاج، وقيل: لأبي حيان الفقعسي، وقيل: للدُّبَيري، وقيل: لعبد بني عبس، وقوله: الأُفعوان ـ بالضم ـ: الذكر من الأفاعي، والشُّجاع: الذكر من الحيات، والشجعم: الجريء، وقيل: الطويل مع عِظَم جسم، والميم زائدة. خزانة الأدب ١١/ ٤١٧-٤١٨.

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٧٣-٨٧٤، وما بين حاصرتين منه.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٣٤، وتفسير البغوي ٤/ ١٠٥.

(٥) في (ظ): السماسما، وفي (م): السِّمسما. والبيت للنمر بن تولب، وهو في معاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٣٤ (وما قبله منه) وخزانة الأدب ١١/ ٩٩. والنَّبع والسَّاسَم: شجر يُعمل منه القسي. القاموس (نبع) و(سسم).

أي: عيناً مملوءة. ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ . مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهذا تقريعٌ وتوبيخ[١]. ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ أي: هلكوا وذهبوا عنا وتركونا في العذاب؛ مِنْ ضَلَّ الماءُ في اللبن، أي: خفي. وقيل: أي: صاروا بحيث لا نَجِدُهم.

﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أي: شيئاً لا يُبصر ولا يسمع ولا يضرُّ ولا ينفع[٢]. وليس هذا إنكاراً لعبادة الأصنام، بل هو اعترافٌ بأن عبادتَهم الأصنامَ كانت باطلةً؛ قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ أي: كما فعل بهؤلاء من الإضلال يفعل بكل كافر.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم﴾ أي: ذلكم العذابُ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ بالمعاصي، يقال لهم ذلك توبيخاً. أي: إنما نالَكم هذا بما كنتم تُظهرون في الدنيا من السُّرور بالمعصية وكَثْرة المال والأتباع والصِّحة. وقيل: إن فرحَهم بها عندهم أنهم قالوا للرُّسل: نحن نعلمُ أنا لا نُبعث ولا نُعذَّب. وكذا قال مجاهد في قوله جلَّ وعزَّ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾. ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ قال مجاهد وغيره: أي: تَبْطَرون وتَأشَرون[٣]. وقد مضَى في «سبحان» بيانُه[٤].

وقال الضحاك: الفرحُ السرورُ، والمَرَحُ العُدوان.، وروى خالد عن ثور عن معاذ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهُ يُبغض البَذِخين الفرحين، ويحبُّ كلَّ قلبٍ حزين، ويُبغض أهلَ بيتٍ لَحِمين، ويُبغض كلَّ حِبْر سمين»[٥] فأما أهلُ بيت لَحِمين: فالذين يأكلون لحومَ الناس بالغِيبة. وأما الحِبْر السمين: فالمُتحبِّرُ بعلمه ولا يُخبر بعلمه الناس؛ يعنى المُستكثِرُ من عِلْمه ولا ينتفع به الناس. ذكره الماوردي. وقد قيل في

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٩ .

(٢) زاد المسير ٧/ ٢٣٧ بنحوه.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣ .

(٤) ١٣/ ٨١ .

(٥) نقله المصنف بهذا اللفظ عن الماوردي في النكت والعيون ٥/ ١٦٥ ، وقوله منه: «إن الله يحب كل قلب حزين» أخرجه البيهقي في الشعب (٨٩٣) من طريق ضمرة بن حبيب عن أبي الدرداء مرفوعاً. وهذا إسناد منقطع، فإن ضمرة لم يلقَ أبا الدرداء ﷺ وقوله: «ويبغض أهل بيت لَحِمين، ويبغض كل حبر سمين» أخرجه أيضاً البيهقي في الشعب (٥٦٦٨) عن كعب قوله.

اللَّحِمين: إنهم الذين يُكثرون أكل اللحم؛ ومنه قول عمر: اتقوا هذه المجازر فإنَّ لها ضراوةً كَضَراوة الخمر[١]؛ ذكره المهدوي. والأوّل قول سفيان الثوري[٢]. ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ أي: يقال لهم ذلك اليوم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ﴾ [الحجر: ٤٤]. ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ تقدم جميعه[٣].

قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ هذا تسليةٌ للنبي عليه الصلاة والسلام؛ أي: إنا لَننتقم لك منهم إما في حياتك أو في الآخرة. ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ في موضع جزم بالشرط، وما زائدة للتوكيد، وكذا النون، وزال الجزم وبُني الفعل على الفتح. ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ عطف عليه ﴿فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ الجواب[٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ﴾ عزّاه أيضاً بما لَقِيَتِ الرُّسل من قبله. ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ﴾ أي: أنبأناك بأخبارهم وما لَقُوا من قومهم. ﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾ أي: من قِبَلِ نَفْسه ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ أي: إذا جاء الوقتُ المُسمى لِعذابهم أهلكهم اللهُ، وإنما التأخيرُ لإسلام من عَلِمَ اللهُ إسلامَه منهم، ولمن في أصلابهم من المؤمنين. وقيل: أشار بهذا إلى القَتْل ببدر. ﴿قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ أي: الذين يتَّبعون الباطلَ والشِّرك.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٩ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٨٠ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ٨١﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾ قال أبو إسحاق الزجاج[٥]: الأنعام

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٣٥ بلفظ: إياكم واللحمَ، فإن له ضراوةً كضراوة الخمر. وسلف ٩/ ٢٠٨.

(٢) ذكره ابن الجوزي في غريب الحديث ٢/ ٣١٧.

(٣) ١٢/ ٢١٤ وما بعدها.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣.

(٥) في معاني القرآن ٤/ ٣٧٨.

هاهنا الإبل .﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ فاحتجَّ من مَنَعَ من أكل الخيل وأباح أكل الجِمال بأنّ الله عزَّ وجلَّ قال في الأنعام: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وقال في الخيل: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨] ولم يذكر إباحةَ أكلها[١]. وقد مضى هذا في «النحل» مستوفى[٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ في الوبر والصوف والشَّعر واللَّبن والزُّبْد والسمن والجبن وغير ذلك .﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ أي: تحمل الأثقالَ والأسفار. وقد مضى في «النحل» بيانُ هذا كلِّه فلا معنى لإعادته[٣]. ثم قال: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ يعني الأنعام في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ في البحر ﴿تُحْمَلُونَ . وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: آياتِه الدالَّةَ على وحدانيته وقُدرته فيما ذكر .﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ نصب «أيًّا» بـ«تُنكرون» لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله، ولو كان مع الفعل هاء لكان الاختيار في «أيّ» الرفع، ولو كان الاستفهام بألف أو هل وكان بعدهما اسم بعده فعل معه هاء لكان الاختيار النصب[٤]، أي: إذا كنتم لا تُنكرون أن هذه الأشياء من الله، فلم تُنكرون قُدرته على البعث والنَّشر؟

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ حتى يُشاهدوا آثارَ الأُمم السالفة .﴿كَانُوا

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣-٤٤ .

(٢) ١٢/ ٢٧٨ وما بعدها.

(٣) ١٢/ ٢٧٥ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٤ .

أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عدداً ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من الأبنية والأموال وما أدالوا به من الأولاد والأتباع؛ يقال: دلوت بفلان إليك، أي: استشفعت به إليك. وعلى هذا «ما» للجحد، أي: فلم يُغْنِ عنهم ذلك شيئاً. وقيل: «ما» للاستفهام، أي: أيّ شيء أغنى عنهم كسبهم حين هلكوا[1]. ولم ينصرف «أكْثَرَ»؛ لأنه على وزن أفعل. وزعم الكوفيون أن كل مالا ينصرف فإنه يجوز أن ينصرف إلا أفعل من كذا، فإنه لا يجوز صرفه بوجه في شِعْرٍ[2] ولا غيره إذا كانت معه من. قال أبو العباس: ولو كانت من المانعةَ من صرفه لَوجب ألا يقال: مررت بخير منك وشر من عمرو.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالآيات الواضحات ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ في معناه ثلاثة أقوال؛ قال مجاهد: إن الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا: نحن أعلم منهم، لن نُعذّب ولن نُبعث. وقيل: فرح الكفار بما عندهم من علم الدنيا نحو ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم:٧]. وقيل: الذين فرحوا الرُّسلُ، لمَّا كذَّبهم قومُهم أعلمهم الله عزَّ وجلَّ أنه مُهلك الكافرين ومُنجيهم والمؤمنين، فـ «فرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» بنجاة المؤمنين ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: بالكفار ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: عقاب استهزائهم بما جاء به الرسل صلوات الله عليهم[3].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ أي: عاينوا العذاب. ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ أي: بالأوثان التي أشركناهم في العبادة ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ بالله عند مُعاينة العذاب وحين رَأَوُا البأس. ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ مصدر؛ لأن العرب تقول: سَنَّ يسن سنًّا وسُنةً؛ أي: سنّ الله عزَّ وجلَّ في الكفار أنه لا

(١) تفسير البغوي ٤/١٠٦.

(٢) في النسخ الخطية: معرفة، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٤/٤٤، والكلام منه.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/٤٤-٤٥.

ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب[١]. وقد مضى هذا مُبيَّناً في «النساء» و«يونس»[٢] وأن التوبة لا تُقبل بعد رؤية العذاب وحصول العلم الضروري. وقيل: أي: احذروا يا أهل مكة سنَّة الله في إهلاك الكَفَرة فـ «سنّةَ الله» منصوب على التحذير والإغراء[٣].

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قال الزجاج[٤]: وقد كانوا خاسرين من قبل ذلك إلا أنه تبيَّن لهم[٥] الخُسران لما رأوا العذاب.

وقيل: فيه تقديم وتأخير؛ أي: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ كَسُنَّتنا في جميع الكافرين فـ «سنة» نصب بنزع الخافض، أي: كسنّة الله في الأُمم كلِّها. والله أعلم.

تم تفسير سورة «غافر» والحمد لله.

---

(١) المصدر السابق بنحوه.

(٢) ٦/ ١٥٢ و١١/ ٥٥ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ١٠٦ .

(٤) في معاني القرآن ٤/ ٣٧٨ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤٥ .

(٥) في النسخ: بيّن لنا، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس، وفي معاني القرآن للزجاج: بيَّن لهم.